

obeikandi.com

انطباعات أدبية ورؤى نقدية



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة، تستهدف المشاركة في استنهاض وتأكيد الانتماء والهوية القومية العربية، في إطار المشروع الحضاري العربي المستقل.
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافي والعلمي مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل القوى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتّاب العرب ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه.
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات بيتناها مركز الحضارة العربية.

رئيس المركز

علي عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية

ش.س. العلمين - عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات - القاهرة

تليفاكس: 3448368 (00202)

www.alhdara-alarabia.com

E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com

alhdara_alarabia@hotmail.com

محمد صفوت

انطباعات أدبية ورؤى نقدية



الكتاب: انطباعات أدبية ورؤى نقدية

الكاتب: محمد صفوت

(مصر)

الناشر: مركز الحضارة العربية

الطبعة العربية الأولى: القاهرة ٢٠٠٦

رقم الإيداع: ٢٠٠٦/٢٣٢٧٧

الترقيم الدولي: I.S.B.N.977-291-797-1

الغلاف

تصميم وجرافيك: ناهد عبد الفتاح

لوحة الغلاف: للفنان الصلي: مبارك بن سعيد المعشرى

الجمع والصف الإلكتروني:

وحدة الكمبيوتر بالمركز

تنفيذ: إيمان محمد

تصحيح: عثمان العجمي

صفوت، محمد

انطباعات أدبيه ورؤى نقدية/ محمد

صفوت. - ط١. - الجيزة: مركز

الحضارة العربية للاعلام والنشر، ٢٠٠٦

١٦٠ص؛ ٢١ سم.

تمك: ١-٧٩٧-٢٩١-٩٧٧

١- المقالات العربية.

٨١٤

أ- العنوان

ابتسامة رجب البنا

هي ابتسامة كبيرة بكل المقاييس، ولكن صاحبها الكاتب اللامع المتواضع اكنفى بتسميتها "ابتسامة صغيرة" وجعلها عنواناً لمجموعته القصصية المتميزة، التي صدرت مؤخرًا عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، في مكتبة الأسرة، ضمن مهرجان القراءة للجميع، برعاية السيدة الفاضلة "سوزان مبارك".

يُهدى "رجب البنا" كتابه إلى الأديب الكبير "عبد المعطى المسيرى" صاحب قهوة المسيرى فى لمنهور، الذى جعل قهوته مدرسة لتخريج الأبناء وملتقى لكبار المفكرين فى مصر، فأصبح بذلك صاحب فضل لا يُنسى.

والإهداء كما نرى يكشف لنا عن مدى ما يكنه كاتبنا النبيل من وفاء أصيل نحو أستاذ يعتبره صاحب فضل فى رعاية موهبته المبكرة وتشكيل وجدانه الأدبي.

ونجد الأصالة نفسها، بل والتواضع الشديد فيما يتوجه به رجب البنا من استطلاع لرأى القراء والنقاد فيما يبدع، يود فى حرص محمود أن يعرف رأيهم رغم كونه كاتبًا ذائع الصيت، وهو - لمن لا يعلم - رئيس مجلس إدارة مؤسسة دار المعارف، ورئيس تحرير مجلة أكتوبر، وأستاذ منتدب بكلية الإعلام جامعة القاهرة وعضو اتحاد الكتاب وعشرات الجمعيات الثقافية والأدبية، وله العديد من المؤلفات، كما أن مقالاته الصحفية تطالعنا على الدوام وبانتظام فى كبريات الصحف والمجلات.

ومجموعته القصصية "بتسامة صغيرة" تقع فى حوالى مائة وتسعين صفحة من اللقطع المتوسط، وتضم عشر قصص قصيرة تدور مضامينها وتتمحور حول هموم الناس الطيبين وقضاياهم الحياتية، أولئك الناس للبسطاء الصالحين، الذين يستولون على مشاعر القارئ منذ لحظة البدء فى معايشتهم، فيقع فى حبهم ويشاركهم حياتهم. ويستمتع بما يلمسه فى طبيعتهم وسلوكهم من طيبة ونقاء، ويرجع ذلك أساساً إلى أنهم من صنع كاتب متمكن يلتزم فى إبداعه بالمضمون الواقعى والصدق الفنى، وبمهارة عالية وبنقة متناهية يقدم لنا عالماً مولزياً للواقع المعاش، يفعل ذلك بعفوية صادقة، وتلقائية شديدة، فينجح تماماً فى إقناعنا بأنه يقدم لنا عالماً حقيقياً وليس متخيلاً، وأشخاصاً حقيقيين من لحم ودم، وليسوا من نسج الخيال، وتبلغ درجة إقناعه فى تصوير أبطاله من الخارج والداخل حدًا يجعلنا نعتقد - أو نظن على الأقل - أنه يعرفهم حق المعرفة، بل وعایشهم عن قرب حميم.

ونستعرض معاً بعض قصص المجموعة..

قصة "أرملة" - الأولى فى الترتيب - نلتقى فيها بزوجين من البسطاء، أهم صفاتهما المشتركة الطيبة والقناعة والصبر والرضا بالواقع وبما تأتى به المقادير دون سخط أو تمرد، ودون بذل أى محاولة إيجابية فى سبيل التغيير إلى الأفضل.

للزوج نجار فقير يمرض ويرفض الذهاب إلى الطبيب، ورغم شدة مرضه يتسم قائلاً: "هو لللى أجله انتهى.. الدكتور يدى له عمر...؟" ص ١٥.

وهو يكبر زوجته بأكثر من عشرين عاماً، بيد أنها قبلت الارتباط به لمتئالا لرغبة أبيها، لذي فضله على غيره وزكاه لحسن أخلاقه، وما لبثت أن رضيت عن حياتها معه وسعدت به لطيبته وحسن عشرته، وأنجبت منه ثلاثة أطفال أضيف إليهم طفلى أخيه الذى ماتت

زوجته، فصارت تربي خمستهم ولا تجد أى وقت للراحة ولكنها لا تشكو ولا تتذمر حيث كانت ترضيها ابتسامه زوجها. غير أنه مات فاضطرت إلى قبول الإعانات من إختوتها لمواصله حياتها، ولم تقبل الزواج من شقيق زوجها الأرملة الذى تربي له ابنته وابنه "أنور"، وبدأت الإعانات تقل تدريجياً فاشتريت ماكينة خياطة وانكبت تعمل عليها ليلا ونهاراً، وفى غمرة كفاحتها وانشغالها بتربية الأبناء (الخمس) نسيت نفسها وشبابها ومطالب جسدها، حتى فوجئت بـ"أنور" وقد كبر وتخرج وتوظف وأصبح يساعدها فى نفقات المعيشة، فوجئت به يداعب شاربه، ويناديه باسمها دون أن يقول "يا مرات عمرى"، فأيقظ صوته فى هذه اللحظة شيئاً كان على وشك أن يموت، يقول لها هامساً " - الأولاد أولادى.. أنا بعد المرحوم عمى، شاعر إنى مسئول عنهم.. إذا كان أبوهم مات.. أنا أبوهم.. إيه رأيك؟.. " إلى أن يقول الكاتب الراوى.. "احمرت وجنتاها.. لم تفاجأ تماماً، شىء فى داخلها كان يتوقع هذه اللحظة.." ص ٢٥.

وتتم الزيجة رغم كل المحاذير إلا أن أيام العسل تنقضى سريعاً، وينقلب أنور من الحب والعرفان بالجميل إلى التمرد والرغبة فى التدمير فنراه يضييق بها وبأبنائها ويقسو عليها وعليهم ويضربها وإياهم فى شراسة وعنف، وأصبح يقتر عليها فى المصروف ويحاسبها على دخلها من الخياطة.. زهد فيها وانطفأت فرحته بابنه الذى أنجبته له.. "أصبح لا يُطاق.. قمصان النوم العارية لم تعد تكفيه.. اشتريت - لأول مرة - كل ما تضعه النساء على وجوههن.. أبيض.. وأحمر.. وأسود.. أصبحت تنقضى كل ليلة وقتاً طويلاً تعد نفسها لرضاه.. ولم يعد يرضيه شىء.. انتهى مفعول كل شىء.. " ص ٣٩.

لستمر يشتمها ويضربها عقب كل حديث بينهما، واعتاد أن يبتز منها نقودها الخاصة، وصبرت هى حتى فقدت مقدرتها على تحمل المزيد من القهر والهوان، وقررت أن تنهى مهزلة حياتها معه وليكن ما يكون!

بيد أنها ما لبثت أن غسلت وجهها، ووقفت أمام المرأة ترتدى قميص النوم، وتضع المساحيق على وجهها بعناية!

لقد فشلت فى القيام بأى محاولة أو حتى مغامرة لتغيير حياتها إلى الأفضل، حيث خشيت عواقب التمرد والثورة على زوجها، والتعرض لحياة التشرد والضياع، فاستسلمت لحياة القهر والخنوع، حتى اجترأها لحياكة الملابس كعمل إيجابى، لم تستطع بسليبتها أن تعتمص به كما ينبغى من غدر الزوج والزمن!

فى قصة "الفرامل" نتعرف على "الأسطى محمود" سائق التاكسى الكادح، وتآلم معه من أجل طفله الصغير المريض، نراه يفكر فى عدم الخروج للعمل، والبقاء فى البيت إلى جانب قلذة كبده، ولكنه يجد نفسه مضطراً للسعى وراء لقمة العيش ومصاريف علاج الصغير، فيقرر أن يعمل بعض الوقت ويعود سريعاً للاطمئنان على ابنه، الذى تركه يصارع المرض ولكن فى رعاية أمه وجدية لأمه، ويتوالى الزبائن على التاكسى وكل منهم فى عجلة من أمره يريد أن يصل إلى هدفه بسرعة، وله حكاية شخصية يثرثر بها فيصدع رأس محمود المهموم بمرض ابنه والذى يود هو أيضاً أن يفضفض بحزنه الخاص، ولكن الزبون لا يعطيه أى فرصة للحديث عما يعانىه، ولا حتى مجرد البوح بمرض ابنه، ولا يعفيه من مهمة توصيله ليتحرر من طاحونة العمل، ويذهب للاطمئنان على وحيدة المريض، رغم أن خط سيره فى لحظة ما كان يمر مصادفة بالقرب من بيته!

لقد بلغت طيبة الأسطى محمود حدًا جعله غير قادر على الامتناع عن توصيل الزبون، رغم كل عذابه الداخلى وتلفه على العودة لابنه.. وفى نهاية رمزية معبرة غامت الدنيا وبكت السماء بغزارة وتوقفت السيارة!

وثمة نماذج إنسانية كثيرة معجونة بالطيبة والصبر ولكنها مطحونة ومهمشة، نلتقى بها فى قصص "حكاية عم سلامة" و"الشمس

والغروب" و"بلاش النهاردة" و"ليلة عوضين" و"ليلة عيد" و"اليوم الرابع" و"فكرة عند منعطف الطريق".

ونصل إلى قصة "ابتسامة صغيرة" فنجد أنها استحوطت بجدارة أن تكون عنواناً للمجموعة، فهي قصة شيقة وممتعة، ذات بناء فني محكم، وحبكة قصصية متقنة، ومضمون إنساني متعدد الغايات، ولعل معظم قصص المجموعة تشترك معها في كل ذلك أو بعضه، بيد أن "ابتسامة صغيرة" قصة إيس من السهل نسيانها؛ لأنها تملك من المقومات الإبداعية والجمالية ما يجعلها تعيش في وجدان القارئ طويلاً جداً.

وهي للوهلة الأولى قد تبدو قصة حب رومانسي عادية، ولكن الكاتب أعطاها من ذاته ورواها بضمير المتكلم، وصاغها في إطار اجتماعي ونفسي عميق الدلالات، مع تقديم وتأخير في الأحداث أكسبها تشويقاً ومذاقاً خاصاً من شأنهما جذب القارئ ونفعه إلى سياق مع السياق.

فالرواي أو "لطفى" يعود إلى قرينته بعد حوالي خمس سنوات، وقد تعلق بإحدى يديه صغيره "سامي" وباليد الأخرى زوجته "وداد" التي أحبها وأحبته، وهي طالبة بالثانوي وهو طالب مغترب بكلية تجارة إسكندرية، ويرصد التطور في معالم القرية "من الذي بنى هذا البيت الكبير بالخرسانة والطوب الأحمر.. أحسن من بيت العمدة بكثير.. آه... وحدة صحية.. وأيضاً وحدة بيطرية، تغيرت الدنيا، أصبحت للحيوانات حقوق..". ص ١٢٨.

ولكن بقي كوخ "عم أبو حلاوة" كما هو.

ونترك تصويره لكفاح عم أبو حلاوة، ونعود إلى قصة الحب، . نما بكت وداد وهي تودع حبيبها لطفى المسافر إلى قرينته في نهاية عامه الدراسي الثالث، لقد حدثته من خلال دموعها عن تقدم عريس لها وموافقة أهلها عليه رغم عدم موافقتها الشخصية.. -وإذا ضغطوا

على وأصروا على العريس ده، وانت فى البلد أعمل إيه؟" ... - " ابقى تعالى البلد.. ادى انت عارفة العنوان.. وأنا حكيت لك ستين مرة على البيت.. " ص ١٣٤.

ويفكر لطفى فى كيفية التغلب على دكتاتورية أبيه واستبداده، لا بد أن يصارحه.. "الدنيا تعترف بالثورات المشروعة، لماذا أحرم أنا من حق الثورة على هذه الأوضاع الغربية.. أنا أفريقيًا المظلومة.. أفريقيًا تتحرر، فلا بد أن أتحرر أنا أيضًا.. " ص ١٣٧.

غير أنه يجبن ولا يجرؤ على مفاتحته فى الموضوع لأنه رجل فى منتهى القسوة والصرامة. ولكن وداد تأتى إلى القرية ذات يوم، فيفاجأ ويقع فى دوامة كبيرة، ولم تستطع أمه له نفعًا لخوفها من أبيه الذى أقسم.. " .. خدها دلوقت حالا وسفرها.. على الطلاق ما هى بيته فى الدار.. " ص ١٤٠. ولكن كيف تسافر وبعده المغرب تنقطع المواصلات وتت عزل بلدنا عن العالم.. " ص ١٤١. لم يكن ثمة مفر من أن تنام ليلتها فى كوخ "عم أبو حلاوة" بدون "مرتبة ولا مخدة ولا حتى ملاءة يمكن أن تتغطى بها" ص ١٤١.

لقد أشفقتنا كثيرًا على وداد التى لم تتذوق للنوم طعمًا وإنما قضت ليلتها باكية متكررة على نفسها، وبكى من أجلها لطفى المغلوب على أمره وأخته وأمّه التى بدت مسلوبة الإرادة، وكل ما استطاعت فعله هو بس بعض النقود فى يد لطفى، الذى واجه العاصفة ولم يضعف ولم يفرط فى حبيبته، بل عقد عليها بمجرد وصولهما إلى إسكندرية وتزوجها فى شفته الصغيرة، وبعزيمته استطاع أن يعتمد على نفسه ويعمل وينجح ويشق طريقه فى الحياة.

إنها تفاصيل غريبة وطريقة فى آن معًا، يتكرها لطفى عند حضوره لأهله بعد مقاطعة دامت خمس سنوات لم تخفف من حدة الموقف.

ولم يحل تلك الأزمة العائلية غير الحفيد سامى الذى ما كاد يعرف أن هذا هو جده حتى اندفع يقبله ويضاحكه، فتخلّى عن جموده وعلى

مسمع من وداد خاطب لطفى قائلا: " - جرى إيه يا أستاذ.. ما تسلّم على.. بقى الولد هو اللى يعرف الأصول.. ما تدخل الجماعة.. اخلوا واستنوني على العشاء.. " ص ١٤٧.

ونلاحظ أن لغة السرد عند كاتبنا الكبير فصحي مميّزة تميل إلى السلامة والوضوح، وتتبع صانقة من وجدانه، ومن كل ذلك تستمد بلاغتها وجمالها.

أما الحوار فهو يجريه باللهجة العامية.. اللهجة الفعلية لأبطاله وشخصياته، التى يتحدثون بها فى واقع حياتهم اليومية، كما ظهرت العامية أيضًا فى عناوين بعض القصص مثل قصة "بلاش النهاردة"، وأغلب الظن أن استخدامه للعامية جاء بمقتضى منهجه الواقعي ورغبته فى الوصول بأدبه إلى أعلى درجة من الصدق للفنى، فكل شئ يجرى كما هو فى واقع الحياة تمامًا.

لقد استمتعنا كثيرًا بهذه المجموعة القصصية الجيدة، التى تعد إضافة حقيقية لمكتبتنا العربية، ونحن فى انتظار أن يمتعنا أديبنا الكبير بأعمال إبداعية جديدة.

مارس ٢٠٠٢

الفن والأخلاق فى القصة القصيرة

عند فتحى الإبيارى^(*)

خلال السنوات القليلة الماضية، قدم لنا "فتحى الإبيارى" بضعة أعمال أدبية هامة، منها: ترجمته الرائعة لقصة "ديكنز" الخالدة "دافيد كوبرفيلد"، ودراساته النقدية والتحليلية لـ"فن القصة عند تيمور"، و"الجنس والواقعية فى القصة" .. وغيرها.. وأخيراً، يقدم لنا الصحفى الأديب، مجموعته القصصية "بلا نهاية" لتكون أول عمل قصصى له.

وبتأمل قصص المجموعة ندرك أن الكاتب تؤرقه وتضغط على تفكيره بصورة حادة هموم الإنسان المقهور وآلامه.. فى معظم قصص المجموعة نلتقى وجهاً لوجه بشبح الإنسان المقهور وتتراوح أسباب القهر ما بين اجتماعية واقتصادية وعاطفية.. ولكنها جميعاً تشكل نهاية مصيرية واحدة، هى ضياع الإنسان وانسحاقه، فى عالم تهتز فيه القيم الإنسانية، وتتساقط واحدة تلو الأخرى!

ولم يفلت من تلك النهاية القاتمة غير بطل قصة "ذلك الحيوان" الذى ألفيناه يخوض صراعاً مريراً، بين رغبته الجنسية التى تدفعه دفعاً ليمارس الجنس مع امرأة تريده، وبين ما يؤمن به من القيم الأخلاقية، التى تأبى عليه أن ينحط إلى هذا الدرك الأسفل.. وفى النهاية ينتصر البطل على نفسه وغرائزه.. وهى نهاية مضيئة تتفق مع المذهب الأخلاقى للأديب.

* - نشرت فى مجلة "البيان" الكويتية فى مارس ١٩٧١.

ولقد أورد الكاتب قصته تلك بطريقة ضمير المتكلم مما قد يوحي للبعض بأنه هو بطلها الحقيقي.. ولذا كان عليه أن يختار النهاية المضيئة.

فى هذه القصة نجح الكاتب فى استخدام "المعادل الموضوعى" فئمة قطة ترقد على إحدى درجات سلم المنزل وحولها مجموعة من ذكور القطط كل ينتظر دوره حتى يفرغ القط المحفوظ من إسكات مواء القطة المستمر.. تمامًا كما ينتظر البطل أن ينتهى صديقه من أداء مهمته مع المرأة لكى يجىء دوره، ويستمتع بها هو الآخر.. ولكنه فى النهاية لا يرضى لنفسه أن يكون مثل قط من هؤلاء القطط.

وبصفة عامة فإن قصص هذه المجموعة ذات المنهج الواقعى والمضمون الاجتماعى، تضع فتى الإبيارى فى مكان طيب بين كتاب "الواقعية الاجتماعية"، وتشهد له بحبه العظيم للإنسان، ذلك الحب الذى يجعله يجهد نفسه فى البحث عن النماذج الإنسانية المعذبة، ليعبر عنها، ويواسيها بفنه، ويقف إلى جانبها فى مواجهة ظروفها القاسية.

فقط، أرجو أن يتخلص الكاتب من هيمنة الهدف الأخلاقى وسيطرته على المحتوى الفنى لقصصه، فهو يدعو لبعض المبادئ والقيم الأخلاقية، التى يؤمن بها بأساليب قد تخرج عن البناء الفنى للقصة، وتقترب من الوضوح المباشر أحياناً.. كما فى قصص: "الضيف.. والحمقى"، و"المفتاح"، و"ذلك الحيوان".

ومن هذه الزاوية، فإن أدبنا يبدو متأثراً بتعاليم مدرسة أدبية عتيقة هى مدرسة "الفن للأخلاق" أو مدرسة "الأدب الهادف" كما نسميها اليوم.. ومن عيوب هذه المدرسة أنها تحد من حرية الأديب، وتحول بينه وبين الانطلاق إلى الإبداع الفنى المتكامل، إذ تلزمه بأن يكون أدبه ذات رسالة هادفة، كالحض على الفضيلة مثلاً.. الأمر الذى قد يؤدى به إلى مباشرة القول، أو استخدام لغة الوعظ والإرشاد، دون أن يشعر.. وأيضاً، فإن هذه المدرسة، تبسط معنى الفن إلى حد كبير،

وتقدم مضمونه على صورته.. وذلك من شأنه أن يسىء إلى الفن والفنان معاً.

وأعتقد أن فتحي الإبياري، بعد أن كتب مجموعته هذه عاد ونظر إليها نفس النظرة فقدمها للقارئ قائلاً:

"كتابة فن القصة القصيرة من أصعب الكتابات؛ لأنها تحتاج إلى تركيز شديد، ولمحة نفاذه ومعالجة فنية ماهرة؛ لذلك رأيت أنه من الأفضل أن أتمق في أسرار هذا الفن قبل أن أعالجه ولقد قرأت، ودرست، وكتبت.. طوال عشر سنوات، حتى وصلت إلى الاتجاه السليم في هذا الفن واهتديت إلى أسلوب جديد.. ولكنني نظرت فوجدت أن بعض قصصى القديمة لا بأس بها إن نشرت، لذلك آثرت أن أنشرها أولاً، حتى لا أحكم عليها بالفناء، إذا نشرت ما وصلت إليه الآن من نضج فنى، فى قصصى الجديدة".

ولن أعاتب الكاتب لضنه علينا بما عنده من جديد، فقط أقول له:

"نحن فى انتظار أن نستمتع بهذا الجديد".

ونتوقف أمام بعض قصص المجموعة، لنستخلص ما يقوله الكاتب، ونلم بزوايا رؤيته الفنية.

فى قصة "الضيف.. والحمقى" نعيش تجربة أبناء أبناء يقتحم حياتهم ضيف ثقيل الظل، هو الموت الذى يوشك أن يختطف أباهم المريض.

ومأساة هؤلاء الأبناء وإن تمثلت فى موت أبيهم، المسبوق بمرضه الطويل، إلا أنها تزداد وطأة وإيلامًا، بفعل أولئك الأشخاص المستغلين (الحمقى)، الذين يتخذون من المرض والموت تجارة لهم. فالطبيب، والحنوتى، وغيرهما من أصحاب المهن ذات الطابع الإنسانى النبيل، يجردهم الجشع أحياناً من إنسانيتهم، فيتحولون إلى مجرد تجار، يفرحون لمرض الناس وموتهم، ويبالغون فى اقتناص المكاسب الفاحشة، على حساب أحزان الآخرين.

وهكذا، نرى أن انكاتب قد صور لنا معنى مُصاب قوم عند قوم فوائد" من خلال قصة إنسانية تهز الوجدان.

وفى قصة "غرامة" يوفق الكاتب فى النقاط صورة نابضة، من واقع الحياة.. صورة داكنة لإنسان ضائع، يعيش على هامش الحياة، بيد أن للمجتمع، بقوانينه الصارمة، يتنكر له، ويكاد يسلبه حقه فى الحياة

هو بائع متجول، يبيع حلوة جوز الهند على عربة يدوية صغيرة، وهو فى أفضل الأحوال، يكسب من وراء ذلك بعض الملايم، التى قد تصل إلى قروش، لكنها لا تقى بقوت يومه، ومطالب عياله.. ورغم الفقر المدقع، يعيش الرجل قانعًا بحظه من الحياة، غير أن قانونًا جامدًا عتيقًا يقف فى وجهه، ويسد عليه سبل الحياة.. فثمة شلويش يطالبه بدفع غرامة مالية؛ لأنه يخالف التعليمات، ويقف فى مكان لا يجوز أن يقف فيه.. ويثور الرجل، ويصيبه اليأس بما يشبه الجنون، فيضرب رأسه فى الحائط ويتجمع الناس حوله ويشفقون عليه، ولكن، دون جدوى يحاولون إيجاد حل للمشكلة فالشلويش تزايله قسوته التقليدية ويؤلمه بؤس الرجل. ويميل إلى التعاطف معه، ولكنه يعجز عن التصرف، لأنه هو الآخر يحكمه القانون، وإذا لم ينفذ الأمر الصادر إليه، تعرض للمحاكمة ممن هم أعلى منه، وقضى على مستقبله بالضياح.

فى تلك اللحظة المعقدة، يبلغ البناء الدرامى للقصة غايتها، فالبائع إنسان، والشلويش إنسان، لكن القانون لا يرحم، فإما أن يدفع الرجل الغرامة، وإما أن يقوده الشلويش هو وعربته إلى القسم، رغم أن العربة لو بيعت بما عليها من الحلوى، لن تأتى بقيمة الغرامة.

وبالإضافة إلى براعة الكاتب فى تحليل مشاعر كل من البائع والشلويش، وما يعانیه كل منهما من ألوان القهر، فإنه قد أجاد حين صور التناقض الصارخ، بين جو القصة القائم، وجو الحياة الصاخب، حيث الناس والثراء، والعربات التى تملأ الشارع.. مما ساعد على تعميق إحساسنا بمضمون القصة.

وفى النهاية تكتمل سخرية المؤلف من متناقضات الحياة حين يلقي البائع بنفسه تحت عجلات سيارة مسرعة؛ هرباً وتخلصاً من الغرامة، ومن الحياة بأسرها.. ولكنه - لسوء حظه - يصاب فقط، ولا يموت كما كان يتمنى.. ويستقر مقهوراً فى المستشفى، بينما تستقر عربته فى القسم.

من خلال عرضنا لهاتين القصتين، وتلك التى أسلفنا الحديث عنها فى بداية المقال، يتضح لنا - رغم سمات الجودة - حرص الكاتب على أن يضمن ثانياً قصصه بعض العظات والعبر، وهو فى سبيل ذلك، يسير وفق تخطيط محكم، يبرز المعنى الذى يهدف إليه، ولكنه يحد من إبداعه الفنى أحياناً.. وكأنى به يلزم نفسه باتباع منهج مدرسة الأدب الهادف، ويصر على أن يقدم للقارئ فائدة مؤكدة. ولا بأس عليه فى ذلك حين يهتم - كفنان - بالجانب الإبداعي فى قصصه، ويكتفى بالتلميح دون التصريح، ويضفى على أعماله من الغموض ما يكفى لأن يمنح القارئ لذة التفكير والتعرف.

وفى قصة "بلا نهاية" نقرأ هذا الحوار الشعري، الذى يدور بين بطلي القصة.. يقول عادل لأمال، وهو ينظر ناحية الأفق:

- منظر الغروب.. جميل.

فتقول بنبرة مختنقة:

- لا أحب هذا المنظر أبداً.

- لماذا؟

- لأن الغروب دائماً يدل على النهاية.

- بالعكس.. إن غروب الشمس بلا نهاية.. فهو فى الحقيقة بداية فى مكان آخر.

فى رومانسية فياضة، يربط الكاتب بين غروب الشمس، وغروب الحب عن حياة أمال، فقد كانت تحب عادل، وهو أيضاً يبائلها الحب،

ولكنها ظلت تطارده بفكرة الزواج، وتحايل في سبيل ذلك، فتخبره ما بين يوم وآخر، بخطوبة صديقته هذه، أو زواج صديقته تلك، الأمر الذى جعله يشعر بالمهانة والحرج، فهو لا يزال فى بدء حياته العملية، مشغولاً ببناء مستقبله، وشق طريقه كأديب وغير قادر على الوفاء بمطالب الزواج.. فكان القراق.. وغروب الحب.. بيد أن عادل ما لبث أن نجح كأديب، وأشرق الحب فى حياته من جديد، فتزوج من غيرها، وأصبحت هى تقرأ قصصه فى الصحف والمجلات، وتعزى نفسها، محاولة الاستعاضة عن حبه بحب ابن شقيقته الرضيع.. ولكنه يموت كما مات حبه، وتبقى هى لتعيش بقلب مقهور، تتجدد أجزائه عند قراءة قصص عادل، الذى يصور نفسه فى قصصه صوراً تخالف حقيقته.. ولا تجد مفراً من أن تذهب إليه، وتلتقى به، ولكنه لقاء لا يدوم ولا يتكرر.

وهذه القصة ذات المضمون الرومانسى، لا يشويها غير الاستطراد وعدم التركيز، وبعض الضعف فى حبكة القصة.. ويخيل إلى أن الكاتب قد أفاض فيها؛ لأنها تمثل ملمحاً من حياته الشخصية.. بحيث يمكن القول بأنه قد اختارها عنواناً للمجموعة، لما لها من مكانة خاصة فى نفسه، جعلته يفضلها على باقى قصص المجموعة، الأكثر جودة.

وثمة ملاحظة أخيرة وهى أن فتحى الإبيارى، قد تأثر باشتغاله فى الصحافة، فهو يكتب فى بساطة مطلقة، ويميل إلى استخدام العبارات السهلة، وتغطية موضوعات قصصه تغطية كاملة.. وهو بعد ذلك يصب قصصه فى الإطار التقليدى، متجنباً التعامل مع التكنيكات القصصية المعقدة.. وهو فى كل ذلك، يبدو محباً للقارئ، راغباً فى أن يكون قريباً منه ما أمكن.

وعموماً، فنحن أمام مجموعة قصصية جيدة، وواعدة، تجعلنا ننتظر الأعمال القادمة لفتحى الإبيارى بمزيد من الاهتمام والتقدير.

الحمامصي والحريري وكأس القباني^(*)

في الحفل السنوي، الذي تقيمه ندوة الأديب الأستاذ حسين القباني، شهدنا تسليم كأس القصة، وكأس الشعر، للفائزين بهما، من أبناء الندوة، عن عام ١٩٦٧، وهما:

الأديب الشاب عبد العال الحمامصي، وقد فاز بكأس القصة، عن مجموعته القصصية "للكتاكيت أجنحة" التي صدرت عن دار الكاتب العربي.

وشاعر العامية عزت الحريري، وقد فاز بكأس الشعر، عن ديوانه "أنا عايش".

وقد حضر الحفل الأديب الأب محمود تيمور، والدكتور رشاد رشدي، وعبد المعطي المسيري، وغالي شكري ووصفي آل ووصفي، وكثير من الأديبات والأدباء.

الندوة وصاحبها

وصاحب الندوة حسين القباني، قد تجاوز الخمسين عاماً، وله تاريخ مجيد في ميدان الكلمة، بدأ في نشر كتاباته عام ١٩٤٦، صدرت له حتى الآن عشرة كتب مؤلفة، وحوالي مائة كتاب مترجم، من روائع الأدب العالمي، منها الأبله، وكوخ العم توم..

وقد أنشأ الندوة في أواخر عام ١٩٥٩؛ لشعوره بأن الأديباء الشبان في حاجة إليها، فهم يلتقون حولها، ويناقشون إنتاجهم وقضاياهم،

* - نشرت في مجلة نادي القصة في يونيو ١٩٦٨.

وهي تساعدهم على أن يشقوا طريقهم في الحياة الأدبية، وقد تخرج منها حتى الآن ما يقرب من خمسين أديبًا وشاعرًا، أصبحوا يقدمون أعمالهم للقراء.

ونجم الحفل الزميل عبد العال الحمامصي، عرفته والتقيت معه على حب الكلمة، عمره الأبى من عمر الثورة، أسلوبه يمتاز بالصدق والتركيز، وقصصه تتبض بالحيوية، وحرارة الواقع، ومعظم أبطاله مكافحون، تجدهم في صراع دائم مع الحياة، مثل مبدعهم، عبد العال نفسه، الذي يجاهد ليأخذ مكانه في الحركة الأدبية، بعرقه وقوة إرادته، متحلّيًا بنخيرة لا تتفد من الصبر والمثابرة، وهو إلى جانب فوزه بالكأس، قد حصل على منحة التفرغ من وزارة الثقافة هذا العام.

وقد قال عنه الأستاذ ثروت أباطة، في مقدمة الكتاب: إنه يمثل جيله خير تمثيل، ولا يحاول أن يتغرب، فإذا قرأته قرأت شابًا مصريًا، يحس أحاسيس بلده، ويعبر بلسانها، ثم هو يصب فيه بعد ذلك، في قالب حديث غير متأخر، وهذه الممازجة هي التي تجعله يمثل جيله.

تيمور يهنئ الفائزين

وقد هنا أديبنا تيمور الفائزين، بكلمة أسماها "تحية الكاسين" جاء فيها:

ويسعدني أن أحیی الفائزين بالكاسين، وأن أهنئهما بهذا الفوز.

فأما الأستاذ الحمامصي، فهو قاص عصامي، شق طريقه بأصابعه، واستطاع أن يظفر بمنحة التفرغ للتأليف، وهي شهادة بأنه أديب واعد، مرجو التألق والازدهار.. وفنه موفق بين اتباعية سليمة، وتجريدية مقبولة في عملية مزاج من التحفظ والانطلاق.

وإن تلك الروح، التي تأبى الجمود، كما تأبى الجموح، لهي أساس الاستشراف لفن جديد.

وأما الأستاذ الحريري، فهو زجال ومحاسب ضرائب، وعجيب أن

يجتمع الفن والضريبة، والتأليف بينهما مستحيل، ولكن الحريرى
نصب نفسه محامياً ومدافعاً عن الفن من عسف الضرائب، وهو فنان
شعبى، يعبر بلغة الشعب عن روح الشعب.

وإلى كأسين قادمتين، لفائزين جديدين، إن شاء الله.

كلمة الندوة

وعن أعضاء الندوة، لقي الأديب وصفى آل وصفى كلمة قال فيها:

تعودنا أن ننتهز فرصة هذا اللقاء السنوى لندوتنا، لنسترجع معاً
بعض معالم الطريق الذى سرنا فيه، ونختار لعامنا الجديد غايات
محددة، ندعو لها، ونبذل فى سبيلها ما استطعنا من جهود.

وندوتنا قد عايشت الحركة الأدبية، بقلوب مخلصه، وعقول
متحمسه، فتمكنت مثلاً من إصدار مجلة الأدباء الأسبوعية، التى ما
كانت تزدهر حتى سقطت على الطريق، صريعة الفتور والتراخى
من المسئولين، والتناحر التجارى على عقود الإعلان، الذى كان ولا
يزال للأسف، يتحكم فى مصير الصحف والمجلات.

وعادت ندوتنا إلى نضالها الميدانى، بإمكانياتها المادية المتواضعة،
وإخلاصها الكثير، فاستطعنا أن نصدر "الندوة"، بالتعاون مع رابطة
مأمورى الضرائب، وبادر إلى مساندها عدد كبير من الأدباء.

ثم أشار وصفى إلى كأس القصة، وكأس الشعر، اللتين تقدمهما
الندوة تقديراً لأجود الأعمال المطبوعة، وهنأ الفائزين بهما عن عام
١٩٦٧. ثم مضى يشرح دور الندوة فى توجيه أصحاب الأعمال غير
المطبوعة ورعايتهم، حتى يتمكنوا من شغل أماكنهم الطبيعية فى
الحركة الأدبية.

رسالة رقيقة..

وقد وصلت الندوة رسالة رقيقة من الأديب محمد الخضرى
عبدالحميد، نائباً عن أدباء ملوى، وآثر أن يسميها "تحية من غائب..

حاضر". وقد ضمنها أطيّب التحيات لرائد الندوة والضيوف، ونجمى
الحفل، مع خالص تهنئته لهما بالفوز.
وفى ختام الحفل، قام الأستاذ تيمور بتسليم الكأسين للفائزين،
وصافحهما متمنياً لهما مزيداً من التقدم والازدهار.
ثم تحدث صاحب الكأس، فهناً الفائزين، وشكر الضيوف،
وأعضاء الندوة، ثم قال كلمة خاصة، أطرى فيها أستاذه محمود
تيمور.
وانتهى الحفل بكلمتى القاص عبد العال الحمامسى والشاعر
عزت الحريرى.

غرباء.. والصدق الفنى عند محمد حافظ رجب (*)

"غرباء" هي المجموعة القصصية الثانية، للأديب الشاب محمد حافظ رجب. وفي هذه المجموعة نلمس بوضوح محاولات الكاتب المستمرة للخروج عن الشكل التقليدي للقصة القصيرة، والتغلب على رتابة السرد للقصص العادي.

وهو بذلك، يحاول أن يساير حركة للتطور والتجديد، ويسعى للتمكن من أدوات القصة الحديثة التي لم تعد تقبل التقيّد بالإطار التقليدي ذات للبدائية والوسط والنهاية والتي لم يعد يجدى معها أسلوب السرد الممل.

ولقد وفق الكاتب في محاولاته إلى حد كبير، كما فى قصة "جداران ونصف" و"الفارس" و"المدينة".. بينما جاءت محاولته للتجديد فى قصة "المليونير" على حساب صدقه الفنى.

أما باقى قصص المجموعة العشر فهى تتسم بالطابع التقليدى. وليس هذا مأخذاً نأخذُه على الكاتب، فالشكل غالباً ما يخضع للمضمون. وهناك من الموضوعات ما لا يصلح لها غير الشكل التقليدى، وخاصة تلك الموضوعات الواقعية، التى نشعر أنها من واقعنا الذى نعيشه.

وثمة رأى يقول: إن الشكل التقليدى للقصة، هو الأصل، وهو الباقي، وإن كل ما عداه فضول طارئ لن يلبث أن يزول، وعموماً، فهذه قضية لا يتسع المجال لمناقشتها الآن.

* - نشرت فى جريدة "المساء" فى ٧ سبتمبر ١٩٦٩.

ومن المؤكد أن مجموعة "غرباء" هذه، سابقة في تاريخ كتابتها لمجموعة "الكرة ورأس الرجل"، التي نشرها الكاتب منذ ما يقرب من عامين، والتي أكد بها موهبته القصصية، ومقدرته الفنية، ودرابته بأحدث الأساليب والتقنيات التي وصلت إليها القصة القصيرة.. وإن كنت لا أدري لماذا يلجأ إلى استخدام التراكيب المعقدة والألفاظ المقعرة، المسرفة في الغرابة ليعبر بها عن المضامين الواقعية العادية لقصة، أهي الرغبة في تغليف أعماله بالضبابية والغموض، والجرى وراء الجديد لمجرد كونه جديدًا؟! ربما؟

ونمضى الآن إلى قصص المجموعة التي بين أيدينا، فنشهد جنازة شرف "عبده أفندي" الذي أهدرته زوجته الخائنة، نراها والعسكري يقودها إلى القسم واضعًا كفه فوق كتفها الممتلئ، وهي حافية القدمين مهوشة الشعر، لا يستر جسدها غير قميص النوم الفاقع، وعن يسار العسكري شاب بسروال قصير وفانلة بيضاء تبرز عضلاته، هو الفاعل.. ثم الزوج المطعون، وموكب كبير من الرجال والنساء والأطفال: هم أهل الحارة التي مزقت ركودها تلك الفضيحة.

لقد عاد عبده أفندي الموظف القديم التقليدي، الذي نصادفه في معظم قصصنا المصري، عاد من عمله في غير مواعده - كما يحدث في أفلامنا - ليأخذ ملفًا كان قد نسيه في البيت، فإذا به يفاجأ بزوجته في أحضان رجل آخر!

ويصف الناس عبده أفندي بالبطولة معتقدين أنه استطاع أن يرسم خطة محكمة؛ لضبط امرأته وهي متلبسة بالخيانة، بينما هو في قرارة نفسه يلعن الظروف التي جعلته يعود إلى بيته، ليفاجأ بشرفه يذبح أمام عينيه، فلو لم ينس الدوسيه لعاش سعيدًا مثل كل الناس.

وبعد انتفاضة - البطل - وثورته لشرفه، تعود إليه سلبيته، ويكاد يشعر بالندم، بعد أن ترك امرأته في القسم، فمن سيعده له الطعام وينفق داره ويرعى أولاده؟!

بطل القصة شخصية نمطية وفكرتها تبدو مستهلكة. ولا بأس على الكاتب في ذلك. فبعد مرور أكثر من نصف قرن على نشأة القصة المصرية، أصبحت جميع الأفكار تبدو لنا وكأنها قد استهلكت. وأصبح الواجب علينا أن نوجه اهتمامنا إلى الشكل الفني للقصة. وهذا ما فعله كاتبنا في بعض قصص هذه المجموعة وفي كتاباته التي تلت ذلك، أما في قصته التقليدية تلك، فيخيل إلى أن رؤيته لموكب الخيانة غير المؤلف هي التي شدته لكتابتها وعرضها على هذا النحو الجيد.

وفي قصة "خناقة" تحدث الخناقة بين طفلتين تلعبان معاً، فتؤدي إلى نشوب معركة بين والدي الطفلتين ثم تنتع المعركة بتدخل والدي الطفلتين أيضاً.. ويتخاصم الفريقان.. وفي النهاية تعود الطفلتان فتلعبان معاً وبذلك يكون القاص قد جسد المثل الذي يقول "يعملوها الصغار ويقع فيها الكبار".. ولا شك أن هذا المعنى قد أغرانا جميعاً بتأوله، وقد صور الكاتب والدي الطفلتين على أنهما عاندين من عمليهما، بعد مصادفة الكثير من المشاكل والمتاعب، كمبرر لشجارهما، بينما كان مضمون القصة في حد ذاته، غنيًا عن هذا المبرر لكنه أراد أن يعمقه، فبدأ وكأنه يفتعل الأحداث.

ونصل إلى إحدى روائع محمد حافظ رجب، وهي قصة "جداران ونصف" التي توضح لنا مقدرته وطموحه نحو التطور والتجديد.

في هذه القصة يقدم لنا الكاتب شخصية مزدوجة، تجمع في داخلها بين الخير والشر.. ومن الطبيعي أن يحتدم الصراع بين الخير والشر.. فتلك قاعدة أزلية. ولكن الأديب لا يكتفى بذلك، وإنما يسطر شخصيته إلى نصفين يفصلهما عن بعضهما البعض، بمهارة فائقة، فنجد أنفسنا أمام نصفين آثميين، كل منهما يفكر ويتحرك مستقلاً عن الآخر، الخير في نصف إنسان، والشر في نصف إنسان، والنصفان لشخص واحد. فقد زوجته الحبيبة، وله صديق مجرب، يحاول أن يقوده ليمارس الجنس، عسى أن يجد فيه عوضًا عن الحب.

ويكون هذا هو محور الصراع بين الصديق، ونصف الإنسان الخيّر ونصف الإنسان الشرير، والمرأة، ويعمل الكاتب على تصعيد الصراع فيعمد إلى المواجهة بين أطرافه المختلفة.. ويبدو نصف الإنسان الخير وحيداً.. لا شيء يسانده، كما يحدث كثيراً في دنيانا هذه، فيختفى الخير في الظلام، ويدفع الصديق بنصف الإنسان الشرير إلى المرأة، في غرفة النوم.

وتستحنه المرأة قائلة له بغضب أنه الموقف.. الآخرون غاضبون بينما هو حائر معها، يبحث عندها عن الحنان والحب الحقيقي، اللذين يرمز لهما الكاتب "بالثدى". لقد كانت زوجته تعطيه ثديها حين يحتاجه.. أما هذه المرأة الفاجرة فترفض وتقول له غاضبة ساخرة:

- أنت مجنون هل تظننى أمك أم زوجتك؟

إنها امرأة للجميع، لا ثدى لها ولا تملك أن تعطيه الحنان والحب الحقيقي.

وتختنق الرغبة الشريرة في نفس البطل، وينتصر الخير.

وأنا أهني الكاتب على التكنيك الفنى، الذى استخدمه فى بناء هذه القصة.

أما فى قصة المليونير فقد حاول الأديب أن يستعرض عضلاته فى الكتابة فحضر بنفسه إلى القصة، وخاطب القارئ قائلاً:

وأرى ألا نتوقف أمام ركاب العربات الأخيرة، فنصفهم، كما يفعل كل الكتاب عادة، فهذه الطريقة وإن كانت ناجحة ومثيرة، إلا أنها تكلف المؤلف كثيراً من اللقافات الرخيصة.. لا أجد ثمنها الآن! كما أنها تكلف القارئ كثيراً من "الباستيليا" التى يروح يستحلبها كأوامر الأطباء، لذلك سأصرف النظر عن وصف ركاب عربة الدرجة الثالثة.

لماذا فعل الكاتب ذلك، هل يقتدى بالدكتور طه حسين مثلاً؟ لقد نعلها الدكتور فى كتابه "الحب الضائع" وابتسمنا لها، وتقبلناها على

أنها مداعبات ماهرة، من أستاذ عملاق في الأدب، أما ما فعله محمد حافظ رجب فقد أشعرنا بأنه "مؤلف" وليس مؤلفاً. فهو يستهين بجدية العمل القصصى ويتهرب من المعاناة التى تصاحب عمليتى الخلق والإبداع.. الأمر الذى جعلنا نفتقد عنصرى الأصالة والصدق الفنى، فى هذه القصة ذات الأسلوب الإنشائى خاصة وأنه لم يكن أحد أبطال القصة، وإنما هو راويها أى أن وظيفته فيها هى وظيفة الكاتب ولا يجوز للكاتب أن يحضر بنفسه فى القصة، وإلا حضر جميع الكتاب فى قصصهم وتحولت القصة القصيرة عندنا إلى شىء آخر.

ولقد وفق القاص فى قصته الإنسانية "غرباء" التى يصور فيها حنين ابن البلد الوحيد المغترب إلى أبناء بلده، وفرحته بنزولهم ضيوفاً عليه، رغم فقره الشديد!

كذلك كان الكاتب بارعاً فى مزجه بين الحقيقة والحلم فى قصة "الفارس"

وبصفة عامة، فنحن أمام مجموعة قصصية جيدة، تنتمى إلى الواقعية الحديثة وتمتاز بأسلوبها المتفرد وقيمتها الإنسانية والاجتماعية.

ونلاحظ أن القطاع الذى يكتب عنه ويتعامل معه محمد حافظ رجب، فى قصصه جميعاً، هو قطاع العمال والحرفيين، وصغار الموظفين أولئك البسطاء الكادحون الذين يقيمون فى الأحياء الشعبية بالإسكندرية موطن الأديب.

وبغض النظر عن لهجتهم الإقليمية المحلية، التى لم يستطع الكاتب أن يتخلص منها كلية، فإنه من الممكن أن نتجاوز عن إقليميتهم، وننظر إليهم نظرة أكثر شمولاً، فنعتبر أنهم يمثلون القاعدة العريضة للشعب المصرى، وبذلك تبدو لنا المجموعة أكثر عمقاً وثراءً.

الدكتور جمال حمدان .. و.. اليهود

لا تزال الدعاية الصهيونية الدنيئة تملك من الجرأة والقدرة على الافتراء ما يجعلها تتقرب في بطون التاريخ على عمق ثمانية وثلاثين قرناً من الزمان، لتزعم أن يهود اليوم هم يهود التوراة، أى أنهم من نسل إسحاق ابن سيدنا إبراهيم.. (القرن الثامن عشر قبل الميلاد).. وعلى هذا الأساس الخاطئ يدعون أنهم شعب واحد ذو قومية واحدة وجنسية واحدة!

وهذا يعنى بكل أسف أنهم أقاربنا من الناحية العنصرية، وأن فلسطين هي أرض الميعاد التي وعدهم بها الرب!

إذا كانت أبواب الدعاية الصهيونية المسمومة قد وصلت إلى هذا الحد من التبجح والتضليل، فإننا هنا سوف نثبت باستخدام الحقائق التاريخية والأدلة العلمية التي لا تقبل الشك، أن يهود إسرائيل اليوم ليسوا هم يهود التوراة، وإنما هم أشتات وأخلاق من كل الشعوب والقوميات والأمم والأجناس، وليس ثمة ما يربط بينهم غير الديانة اليهودية والنزعة الاستعمارية.

من ناحية الديانة اليهودية، فنحن نؤمن بها كديانة سماوية، وليس هناك ما يوجب العداء بيننا وبينها، وذلك بحكم أن الدين الغالب للأمة العربية هو الإسلام، وشرط تمام إيمان المسلم أن يؤمن بالأديان السماوية السابقة، ومنها اليهودية.

وكذلك فإن المسيحيين العرب لا ينكرون اليهودية كدين سماوي، ولكن الذي ننكره نحن العرب ونعاديهِ جميعاً لخطورته على كيانتنا

ومصيرنا، هو الحركة السياسية العنصرية المسماة بالصهيونية، ذات
النزعة الاستعمارية، التي أدت إلى تشريد أكثر من مليون عربي،
وقيام إسرائيل داخل الوطن العربي كجراثومة مرض خبيث!

وتبدأ قصة اليهود في التاريخ حوالي سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد، حيث
هاجر إبراهيم الخليل هو وقومه من قلب الجزيرة العربية إلى بضعة
أماكن استقروا بعدها في فلسطين العربية، وكانت فلسطين في ذلك الحين
هي أرض كنعان، يسكنها أبناء كنعان من نسل نوح، وإلى جانبهم كانت
توجد في فلسطين كوكبة أخرى من القبائل السامية الصغرى.

وقد ولد لسيدنا إبراهيم ابنه إسحاق، ثم حفيده يعقوب، ومن أبناء
يعقوب الاثني عشر تأصلت الأسباط أو القبائل الاثنتا عشرة الشهيرة
في التاريخ والتوراة.

وفي عام ١٢٠٠ ق.م جاء الفلسطينيون واستقروا على ساحل
أرض كنعان، وأعطوها اسمهم.. فلسطين.

وتاريخ اليهود منذ تلك المرحلة تاريخ دموي لا أخلاقي مليء
بالحروب والغزوات، فهم لكي يقيموا بأرض كنعان، حاربوا
الكنعانيين والفلسطينيين أكثر من مرة، إلا أن الهزيمة كانت من
نصيبيهم غالبًا، وعلى يد الفلسطينيين أقوى أعدائهم بصفة خاصة!

وفي منتصف القرن السابع عشر ق.م، وبسبب القحط المشهور،
هاجر يعقوب وأولاده إلى مصر.

وفي حوالي القرن الثالث عشر ق.م هربوا من اضطهاد فرعون
(رمسيس الثاني) قاصدين العودة إلى أرض كنعان، ولكن خوفهم من
الكنعانيين العمالقة أدى بهم إلى المعصية، فعقاب الله في سيئاتهم
أربعون عامًا!

وفي القرن العاشر ق.م. وحّد داود قبائل إسرائيل الاثنتي عشرة
وهزم الفلسطينيين وأسس مملكة إسرائيل، ولكنها ما لبثت أن

انتشرت إلى مملكتين متعاديتين متحاربتين، والمملكتان إحداهما شمالية والأخرى جنوبية.

وقضى سرجون الأشوري على المملكة الشمالية في القرن الثامن قبل الميلاد.

وتعرضت المملكة الجنوبية لضربتين من مصر على يد شيشنق، ثم نخاو، وأخيراً قضى عليها نهائياً بنو ختصر البابلي في القرن السادس قبل الميلاد.

وبذلك نرى أن دويلة اليهود قد أبيت وأزيلت تماماً من فلسطين منذ القرن السادس قبل الميلاد.

وتشرد يهود إسرائيل وانتشروا في بقاع مختلفة من دول العالم، على مدار السنين، بطرق كثيرة لا يتسع المجال لتذكرها.

ويرى بعض المؤرخين أن اليهود موزعون توزيعاً عالمياً، لدرجة يمكن أن يقال معها إن.. تحت كل حجر في العالم يهودي".

والحقيقة أن عدد يهود العالم في أول عام ١٩٦٦ يقدر بحوالي ١٣,٤ مليون نسمة، وهو رقم يبدو قزماً وضئيلاً جداً إلى جانب عدد سكان العالم الذي يزيد عن ٣٣٠٠ مليون، أي أن نسبة اليهود إلى سكان العالم لا تزيد عن ٣ أو ٤ في الألف، مما يدل على أن اليهودية قوقعة دينية حفرية ضامرة.

ويوجد معظم يهود العالم في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا والاتحاد السوفيتي، والمسماه إسرائيل، ثم أعداد تافهة جداً في بقية دول العالم.

وفي بداية القرن التاسع عشر لم يكن عدد اليهود في فلسطين كلها يزيد عن ١٠ آلاف نسمة.

ونظراً لأن سياسة لليهود تعتمد دائماً على الخيانة والعدول، فإنهم كانوا يولجهم بالاضطهاد أينما ذهبوا، مما جعلهم كثيرى الهجرة والهرب.

وقد أدى الاضطهاد النازي لليهود فى ألمانيا الهتلرية إبان الحرب العالمية الثانية إلى إبادة ما يقرب من خمسة ملايين من يهود أوروبا، وهرب أعداد ضخمة منهم إلى فلسطين.

وكانت هذه هى بداية الجريمة.. جريمة تشريد عرب فلسطين، وقيام إسرائيل فى الوطن العربى، وقد قفز تعدادها إلى أكثر من ٢ مليون، وهذا ما تسميه الحركة الصهيونية الاستعمارية بحرب الاستقلال، أو العودة إلى أرض الميعاد.

ولذلك فإن الصهيونية تدعى - كذباً - أن يهود اليوم هم يهود التوراة، أى أن يهود القرن العشرين بعد الميلاد، هم من أصل وجنس يهود القرن العشرين قبل الميلاد..!

من يصدق ذلك!؟

إن التاريخ والعلم يكذبان هذا الادعاء بشدة، وعبثاً يحاول الإسرائيليون إثبات نقاوتهم الجنسية، فجنس اليهود قد اختلط بأجناس كثيرة بسبب التزاوج والعلاقات الجنسية غير الشرعية، والتحول الدينى على مدى ما يقرب من أربعين قرناً من الزمان، بحيث يمكن اعتبار أن يهود التوراة قد انقرضوا تماماً، وهذا ما تؤكد الدراسات العلمية التى أثبتت أنه لا وجه للشبه إطلاقاً بين يهود اليوم ويهود التوراة.

ديسمبر ١٩٦٨

رسته كيلانى.. و.. حياة الحياة

"من حياة الحياة" هي المجموعة القصصية الحادية عشرة والمتوجة لإبداعات الكاتب الكبير الأستاذ "رستم كيلانى"، وهو كاتب معروف ومثابر من أبناء جيل الستينيات، صدرت مجموعته القصصية الأولى "نموع النكري" عام ١٩٦٥ وتبعتها مجموعته الثانية "هكذا التقينا" عام ٦٦، ثم مجموعته الثالثة "الجران الباكية" عام ٦٨.

وعلى مدى العقود الأربعة الماضية توالت أعماله القصصية التي من بينها.. "رفيق العمر"، "قلادة من شوك"، و"لا ترقبى عودتى".. إلى نهاية القائمة حيث أمتعنا مؤخرًا بالمجموعة التي نحن بصددتها.

أى أنه أمضى أكثر من أربعين عامًا يتعبد في محراب القصة القصيرة وحدها، مما يدل على إخلاصه الشديد لذلك الفن الجميل الذي يجمع بين الجاذبية والصعوبة.

ولا يفوتنى أن أشير أيضًا إلى الكتاب المشترك الذي تعاون فى تأليفه وإصداره عام ١٩٧٣ مع الكاتب الكبير الأستاذ "وصفى آل وصفى" عن الأديب العالمى "محمود تيمور" لما لذلك من أهمية خاصة يمكن إدراكها من قولنا أن رستم كيلان يعد من أشهر أبناء المنرسة التيمورية المخلصين، وعنه قال الأستاذ تيمور: "رستم كيلانى كاتب يملئ على قلمه ما فى قلبه الخفاق، قصصه تمتاز بعاطفتها الإنسانية الأخاذة".

ولا عجب فى ذلك، فمن يعرف عن قرب رستم كيلانى الإنسان المهذب الخلق، ويقرأ ألبه الإنسانى الذى يفيض رقة وعذوبة،

يستنتج أنهما وجهان لعملة واحدة، توحى بالصدق والأصالة.

ومجموعته "من حياة الحياة" التي بين أيدينا صدرت مؤخرًا عن نادى القصة، سلسلة الكتاب الفضى، وهي تضم سبع عشرة قصة قصيرة، لا يتسع المجال بطبيعة الحال لتناولها جميعًا، لذلك نشير إلى عناوين بعضها، ونستعرض فى إيجاز مضامين بعضها الآخر.

من العناوين نذكر مثلًا قصص: "الموظف الجديد"، "رحلة منديل" .. و"الحن التائه" .. ولكن مجرد ذكر العناوين لا يعطينا سوى انطباعات مبهمة، تعجز عن توصيل المعانى ولا تكفى لإشباع فضولنا، لذلك نتوقف عند محتوى بعض القصص أملين أن نستشف ونستخلص أهم السمات الرئيسية لأدب "رستم كيلانى".

فى قصة "وكان لقاء" .. يلتقى بطل القصة وابنته الطفلة مع البطلة ومن ظن أنه ابنها الطفل، فى محل بيع مثلجات، حيث أراد كل منهما أن يشتري لطفله كوبًا من الجيلاتى، ولم يذكر لنا الكاتب أى أسماء ربما للتعميم، ويرجع الذاكرة للماضى يتعرف كل من البطلين على الآخر، ويكتشف صاحبنا أنه أمام حبيبته التى لم يستطع أن يتزوج منها لأن والده أصر على أن يزوجه من ابنة عمه حفاظًا على ثروة العائلة وتقاليدها، وقد انفق الأب فعلا مع أخيه على ذلك، وأقسم يمينا بالطلاق أن هذا أمر لا رجعة فيه، فاضطرت حبيبته إلى التضحية بحبها والانسحاب من حياته لينعم بالاستقرار العائلى ولا يُحرم من الميراث، ولما قال لها أنه سمي ابنته على اسمها تخليدًا لذكراها، أخبرته أن الطفل المرافق لها هو ابنها وليس ابنها، وإنما فى الحقيقة هو ابن شقيقتها التى ماتت بعد ولادته، وحرصًا منها على ابن أختها وعلى مستقبله آثرت أن تتزوج من زوج شقيقتها المتوفاة، عسى أن تجد لنفسها عزاء فى ذلك.

فى قصة "ماذا قتلت؟" نجد أن بطل القصة الشاب اليتيم (الذى لا نعرف اسمه) يعيش مكفولًا ومنعمًا فى بيت عمه الستينى المريض،

وزوجة العم الشابة المتعطشة للجنس تلاحقه وتغريه بكل السبل، ولكنه يستعصم بأخلاقه القويمة، التي تأبى عليه أن يخون عمه وصاحب الفضل عليه، غير أنها قرب الفجر تطرق عليه بابه وتلهبه بمفاتها المكشوفة وعطرها الفواح وهمسها الداعي، حاول أن يمنعها من دخول غرفته فأزاحته من طريقها وألقت بجسدها الناثر العارى على السرير، فلم يملك الشاب إلا أن يستسلم لها ويحتضنها ويغيب معها عن الواقع، غير أنه حين يستفيق يفاجأ بعمه جاثماً على أرض الغرفة يحتضر، فيغرق في لجة من الحزن والندم، ثم يندفع ليغسل عاره ويقتل امرأة عمه خنقاً.

وقصة .. وانتهى كل شيء .. الأخيرة في المجموعة، نلاحظ أن كاتبنا قدم لها تقديمًا موفقًا بعبارة نثرية مكثفة قال فيها:
"الحب هو الحب دائماً يؤثر التضحية، ويقدم قربان، وينسى الخطايا..".

ومن قراءتنا للنص ندرك أن هذه العبارة خير تعبير عن مضمون القصة، كما قدم لقصته "نموع النكري" .. الأولى في المجموعة، ببيت أجاد اختياره من أشعار خاله الشاعر الكبير الأستاذ "قاسم مظهر":
شلت يد الصفو وانهارت أناشيدى وبت أحمل ثقل العمر فى جيدى
وإذا كان قد أهدى قصته "هكذا للتينا" .. الثانية في المجموعة إلى بطلتها التي حكته له يوماً، فقد أهدى مجموعته كلها .. إلى صاحبة أكبر مجموعة قصصية في الوجود .. إلى الحياة .. وما أجمله من إهداء.

أما قصة .. وانتهى كل شيء .. ذاتها فهي قصة زوج يحاول أن يستسمح زوجته الأولى "ابتسام" ليردها إلى عصمته، بعد أن سلبته زوجته الثانية كل أمواله ولفظته لفظ النواة، غير أن الأولى ترفض أن تغفر له خطاياهم وتبى أن تعود إليه حتى لا تكون دمية في يده يلهو بها كيفما يشاء.

وهكذا يخرج من عندها يائسًا مشئت الفكر فتصدمه سيارة مسرعة على الطريق وتقرأ ابتهام تفاضيل الحادث فى الجريدة فتجزع وتتدفع كالمجنونة إلى المستشفى، وهناك تجده فى غيبوبة تامة، ويخبرها الطبيب أن النصف الأسفل من جسده قد بات مشلولًا فتحزن وتبكى من أجله، وحين يعود إليه وعيه يفاجأ بها إلى جانبه ساهرة على خدمته، فيتبادلان نظرات المحبة والامتنان، ويتناحيان ويتواعدان على توثيق ارتباطهما، وتتلامس أيديهما فى حنان وغفران وتوق لاستقبال حياتهما الجديدة، بيد أن يده سريعًا ما ترتخى فى يدها وتصير باردة برودة الموت!

مما تقدم ومن قراءتنا لجميع قصص المجموعة، ومنها قصة "الطفل" .. المهداة إلى الأطفال ضحايا الحروب، نقول إننا سعدنا بالمجموعة وبالروح الإنسانية التى تهيم على قصصها، غير أن ضيق المساحة المتاحة اضطرنا إلى الإيجاز والاكتفاء بالتبويه.. ولكن ذلك لا يمنعنا من أن نذكر أنها إضافة جيدة لمكتبتنا العربية.

ديسمبر ٢٠٠٦

عبد العزيز إسماعيل.. و.. ذنب القرية^(*)

الأديب الكبير القاص والروائي الأستاذ "عبد العزيز إسماعيل" أصدر حتى الآن خمسة كتب مطبوعة على نفقته الخاصة، هي على الترتيب:

رواية "القرية الأثمة" عام ١٩٩٨، مجموعة قصص "طوبى للجياع والمساكين" عام ١٩٩٩، مجموعة قصص "الكوخ" عام ٢٠٠١، رواية "ذنب القرية" عام ٢٠٠١ وهي التي نحن بصددنا الآن، والتي تلتها مجموعته القصصية "أغنية الأرض" عام ٢٠٠٢.

وقد فازت روايته "ذنب القرية" بجائزة "نجيب محفوظ" في مسابقة "الرواية في مصر والعالم العربي" عام ٢٠٠٢.

وجدير بالذكر أن هذه الرواية تمثل الجزء الثالث من ملحمة الريفية عن "الصراع بين الخير والشر في نفوس أبناء الريف" التي كان جزءها الأول روايته "القرية الأثمة"، وجزءها الثاني مجموعة قصص "الكوخ"، ونلاحظ أن الملحمة جمعت بين الرواية والقصة القصيرة جنباً إلى جنب، وأغلب الظن أن مجموعة قصصه القصيرة "أغنية الأرض" التي صدرت مؤخراً، تتدرج أيضاً تحت لواء ملحمة الريفية هذه، هي وروايته "الأرض العطشى"، ومجموعته القصصية "النخيل يموت واقفاً" اللتان ستصدران قريباً.

ومن خلال أعماله المتعددة يتضح لنا أن كاتبنا المبدع له مع الريف وأهله فيما يبدو تجارب إنسانية متنوعة وثرية، غنية بالقيم

* - نشرت في جمعية الأدباء في ١٨ يونيو ٢٠٠٣.

والمعاني، ولا نستبعد تأثره أيضًا بعمله السابق في سلك القضاء، الذي وصل فيه إلى درجة "مستشار"، فلا شك أنه عاش من خلاله مئات القضايا والأحداث التي أثرت في إبداعه بشكل أو بآخر.

وعبد العزيز إسماعيل في روايته المتميزة "ذئب القرية" التي بين أيدينا يقدم لنا بأسلوبه السلس المعبر مأساة إنسانية تهز الوجدان، أحداثها تدور في إحدى قرى الريف المصري.

الذئب ليس هو ذلك الحيوان المفترس المعروف، وليس نذبا بشريا بالمعنى الجنسي المتعارف عليه، وإنما هو مخلوق ضعيف مميم، لا دخل له في تسميته "الذئب" سوى ملامح وجهه القميئة المخيفة التي تحمل شكل الذئب، مع أنه في غاية الهدوء والوداعة.. وديع كالحمل.

"حميدو" الإنسان الطيب، بطل روايتنا، ولد بوجه مخيف يشبه وجه الذئب إلى حد كبير لدرجة أن أهل القرية أهملوا اسمه الحقيقي وأصبحوا يطلقون عليه اسم الذئب أو "الديب" بلهجتهم العامية، وينفرون ويخافون منه كأنه ذلك الذئب الحيواني المفترس.

ومولده بهذا الشكل كان صدمة قاسية لأمه التي ترملت وهي حامل فيه، ولكنه فلذة كبدها على كل حال، ولبنها اليتيم والوحيد الذي لا بد أن تنظر إليه على أنه رجلها، ولا ينبغي لها أن تتسى أنه هبة الله لها، وهي فعلا كانت تحبه إلى حد جعل للناس يقولون "القردي في عين أمه غزال".

ولكن، لا أحد غيرها يحب الديب، ولا أحد يريد أن يرى الديب، جميع الأهالي رجالا، ونساء، كبارا وصغارا، يتحاشون ملاقة الديب، يشيحون بوجوههم عنه، ويبتعدون من طريقه، حتى أقرانه الأطفال، يهزأون به رغم خشيتهم منه، يقذفونه بالحجارة ويعفرونه بالتراب، يسبون ويضربونه بقسوة، يقولون له "أنت جريان"، ولا يسمحون له باللعب معهم، ولا حتى يتيحون له أن يحضر لهم الكرة الشراب التي يلعبون بها عندما تفر منهم بعيدا عنهم.

يعود إلى أمه كسيرًا باكياً، فتتألم من أجله، ولكنها تقول له:

- من يضربك اضربه، عضه، أنت ذئب كما يقولون، أنت أقوى منهم جميعاً، إذا عملت بنصيحتي هذه لن يضربك أحد بعد ذلك أبداً.

وعملاً بنصيحة أمه، يدافع عن نفسه، فيعض عليوة ابن الداية في رقبتة، ولا يتركها إلا بعد أن تسيل منها الدماء!.. وينتشر خبر تلك الحادثة في القرية، فيقال عنه أنه "ذئب مسعور"، وتوشك أم عليوة أن تقتك بحميدو، لولا تدخل العمدة الطيب المتعلم، الذي يتعاطف مع حميدو لظروفه الخاصة، والذي يسند إليه عادة بعض الأعمال في دواره أو في حقله ليرتق منها.

"منذ ذلك اليوم، ما جرأت أيدي الصبية على ضربه، وما اجتراً إنسان على سبه".

ويكتسب حميدو بعض الشجاعة والجرأة، فيقوم بشنق "سامبو" كلب "قرني" وتعليقه في شجرة الجميز، انتقاماً لنفسه، لأن الكلب وصاحبه اعتديا عليه.

ويمضى الكاتب في بنائه الفني المحكم، فيوجه مأساة حميدو نحو ذروتها، حيث تموت أمه وهي تسوى له فطيرة على الكانون، وتلتهم النار البيت كله، فتختل قوى الصبي العقلية، ويهيم على وجهه في شوارع القرية!

ولكنه الشخص الوحيد الذي يتطوع لإنقاذ عجلة "ستينة" البكر، التي سقطت في بئر الساقية وهي تحاول الهرب من مطاردة فحل طلوقة يريد اغتصابها بالقوة.

الساقية مهجورة وماؤها آسن، ويقال إنها مسكونة بالجن، ولكن الفتى اقتحمها في بطولة تدعو للإعجاب، فكافأته ستينة ومنحته كوخ زوجها المتوفى ليقيم فيه.

وفي براعة إبداعية يطلعننا الكاتب على قصة الحب الوحيدة

والفريدة في حياة حميدو القاتمة، ليبت فيها بعض الضياء.

يجمع الحب بينه وبين "صالحة" ابنة "فهيمة" بانعة الفجل، وهي عانس نميمة وعرجاء، وليس لديها أى أمل فى الزواج، ولكن ماذا يهيم حميدو من كل ذلك!؟

كل ما يهيمه أن صالحة هى الوحيدة التى أشعرته بإنسانيته وأدميته، وهى الوحيدة التى أعربت عن حبها له، وهى الوحيدة التى تتأديه باسمه.. حميدو.. وليس الريب، وهى الوحيدة التى تحمل همه وتبتسم له وتلاغيه.

تبادر صالحة فتستري له سرًا جلبابًا جديدًا وطاقيّة وبلغة، لكى يلبسهم ويملا عين أمها وهو يخطبها منها، ويسرع هو سعيدًا فيأتى بكيس نقوده القليلة المنخرة..

بيد أن أمها ترفض خطبته لها فى سخرية واستهزاء، وعناد وإصرار، ويصل بها الأمر إلى التهديد بقتله إذا لم يتراجع وينسحب من حياة ابنتها!

وفى تعنت منقطع النظر ترفض توسلات ابنتها، ومحاولات العمدة للتوفيق، واستعداده لدفع المهر ومصاريف الفرح بالكامل.

ولا تجد صالحة مفرًا من الهرب والذهاب إليه فى كوخه ليعقد عليها ويتزوجها زواجًا شرعيًا غير أنه لا يستجيب لها، لأنه وعد العمدة مسبقًا بعدم اتخاذ مثل هذه الخطوة دون علمه.. فتياأس وتلقى بنفسها فى النهر، ويلحق بها حميدو وهو لا يجيد السباحة، فيغرقان متعانقين معًا، فى نهاية مأساوية تذكرنا بـ"قيس وليلى" و"روميو وجولييت" وغيرهما من العشاق الخالدين.. ولا يبقى إلا أن أحبب الأديب المبدع على إضافته الجميلة لمكتبتنا العربية.

شيخ القصة العربية

محمود تيمور و بنت اليوم (*)

الأديب الكبير الراحل "محمود تيمور"، سوف يظل حياً في فكرنا، وفكر الأجيال من بعدنا، وسوف يظل اسمه في المقدمة، خالدًا في تاريخ أدبنا العربي، وتبقى أعماله القيمة في صدر تراثنا الأدبي، منارةً للأدباء والمفكرين والدارسين.. على مر العصور.

ومحمود تيمور يعد من أبرز مؤسسي النهضة الأدبية الحديثة في مصر والعالم العربي. وهو شيخ القصة العربية القصيرة، وإمام كتابها، حيث كان له فضل السبق والريادة في ذلك المجال الجديد آنذاك، والذي لم يكن مطروحاً من قبل، وقت أن كانت جهود الكتاب المصريين الأوائل قاصرة على ترجمة القصص القصير الغربي، والقيام ببعض المحاولات المحدودة في تأليف القصة المصرية القصيرة. بيد أن تلك المحاولات الأولية لم ترق إطلاقاً إلى مستوى ما كتبه تيمور، في قصته القصيرة "الشيخ جمعة" التي هي باكورة إنتاجه الأدبي الذي بدأ عام ١٩٢٥.

وبالرغم من أن الشيخ جمعة تعتبر صورة وصفية، وليست قصة قصيرة بالمقاييس المتعارف عليها اليوم، والتي وضعها - فيما بعد - تيمور نفسه، إلا أنها تظل عملاً بارزاً ومتميزاً.

ومن بعد الشيخ جمعة، التي اتخذ منها عنواناً لمجموعته القصصية

* - نشرت في جريدة "القبس" الكويتية في ١٣ أغسطس ١٩٧٩.

الأولى، استمر محمود تيمور يكتب فيجيد، ويبتكر فيبدع، حتى تفوق ونجح كل النجاح، وكان وقتئذ يجنح في كتابته إلى اللهجة العامية المحلية، ولكنه ما لبث أن هجرها، وأقبل على اللغة العربية الفصحى، يطوعها ويستخدمها في السرد والحوار، فحقق لأدبه المزيد من النجاح والانتشار، في جميع أنحاء الوطن العربي، من الخليج إلى المحيط.. وأصبح محمود تيمور زعيم القصة العربية المعاصرة.

وتنوع إنتاجه فكتب القصة والرواية والمسرحية، والرحلات والدراسات الأدبية والاجتماعية. وترجمت أعماله إلى عدة لغات، فأصبح محمود تيمور ذلك الأديب العالمي العملاق.

ولقد توج المجمع اللغوي إنتاج تيمور الأديب، فمنحه جائزته الأولى عام ١٩٤٧. كما اعترفت الدولة بفضله الكبير على القصة المصرية، فمنحته جائزة الدولة للأدب عام ١٩٥٠، كما حصل على جائزة "واصف غالي" في باريس عام ١٩٥١ عن مجموعته القصصية "عزرائيل القرية" التي ترجمت إلى الفرنسية.

وحظى محمود تيمور بتقدير كبار الأديباء والمفكرين في العالم.. فقد قال له عميد الأدب العربي الدكتور "طه حسين" - في خطابه - يوم أن استقبله عضواً بالمجمع اللغوي:

"وسبقت أنت إلى شيء لا أعرف أن أحداً شاركك فيه، في الشرق العربي كله إلى الآن.. وأنت لتوفى حقلك إذا قيل إنك أديب عالمي، بأدق معاني هذه الكلمة وأوسعها..".

وكتب عنه عميد المستشرقين في أوروبا المستشرق الروسي "أغناطيوس كراتشكوفسكي" .. قائلا: "إن ما وصل إلينا من مؤلفات تيمور، يدل على أنه أصبح الكاتب المفضل، والمعترف له إجماعاً بالتفوق في أدب بلاده المعاصر، وإنني لأقرر أن قصة مبتكرة، ذات طابع عربي صميم، قد ولدت في الأدب العربي".

كما كتب عن تيمور المستشرق المجرى الدكتور "عبد الكريم جرمانوس" .. يقول:

"يسمو محمود تيمور عن الكاتب الروائى المجرى، إلى مصاف الأدباء الفلاسفة، ومعلمى الثقافات، بما يقدم من موضوعات إنسانية ذات أهداف رفيعة".

ولقد تأثر محمود تيمور فى بداية حياته الأدبية بالأساطير الفرعونية والشعبية، كما تأثر بالأديب الفرنسى "جى دى موباسان"، والأديبين الروسين "أنطون تشيكوف" و"إيفان ترجنيف"، إلا أنه لم يعتنق مذهباً معيناً، ومضى يبتكر ولا يقلد، حتى أصبح صاحب مدرسة فى الأدب العربى الحديث. ثم تطورت مدرسته من الرومانسية إلى الواقعية، وتخرج منها الكثيرون من كتاب الصف الأول اللامعين.

وبينما كان لمحمود تيمور فضل السبق والريادة فى ميدان القصة القصيرة، فقد سبقه زمنياً فى مجال الرواية كل من: الدكتور "محمد حسين هيكل" والدكتور "طه حسين" و"توفيق الحكيم".

أما المسرح، فقد حاول محمود تيمور فى البداية أن يجارى شقيقه "محمد تيمور" فى خلق المسرحية المصرية المحلية، والنهوض بها. ولكنه بعد ذلك اشتق لنفسه منهجاً خاصاً تجلت فيه عبقريته، حيث أبدع وتطور وتفوق فى كتابة المسرحيات التاريخية والاجتماعية.

ونظراً لإيمان تيمور بأن اللغة العربية الفصحى هى خير أداة يصنع بها فنه، واعتقاده فى الوقت نفسه بأن المسرحية يجب أن تُمثَل على المسرح باللغة العامية، فقد كان يطبع كلا من مسرحياته فى كتاب ذى شقين، أحدهما بالفصحى للقراءة، والآخر بالعامية للتمثيل.

ولقد ولد محمود تيمور فى ١٦ يونيو عام ١٨٩٤ بمدينة القاهرة، وهو ابن أسرة عريقة فى الأدب والثقافة. فوالده العلامة "أحمد تيمور"

وعمته الشاعرة "عائشة التيمورية"، وأخوه "محمد تيمور" أحد مؤسسى المسرح العربى الحديث.

وفى منزلهم كان والدهم يعقد الندوات الأدبية بانتظام، فيرتادها كبار الأدباء والعلماء، والمفكرين والمستشرقين.. وعلى رأسهم للشيخ "محمد عبده" و"البارودى".

وفى هذا الجو الثقافى الراقى أتىح لمحمود تيمور أن يطلع على عيون الأديب العربى والغربى، وازدادت فرصته فى الاطلاع حين لنقطع عن دراسته فى مدرسة الزراعة العليا، على أثر مرضه الطويل بالتيفويد.

ويمكن القول بأن مرض تيمور - وهو فى العشرين من عمره - يمثل نقطة التحول الرئيسية فى حياته، فمن بعد استعانته على مرضه بالقراءة الأدبية، عشق الأديب، وتفرغ لدراسته.

ولم تكد الأيام تمر، حتى أصبح محمود تيمور وأخوه يعقدان الندوات الأدبية للأدباء الشباب، وتلك الندوات كانت تضم الكثيرين ممن عرفناهم فيما بعد.. مثل الدكتور "حسين فوزى" و"زكى طليمات" و"إبراهيم المصرى" وغيرهم.

وهكذا تشكلت ملامح تيمور الأدبية.. ولا يفوتنا أن نسجل بعض العوامل الأخرى التى أثرت فى أدبه، على امتداد حياته للفنية المعطاءة..

فلقد شهد محمود تيمور الحربين العالميتين.. الأولى والثانية، كما عاصر الثورتين الوطنيتين عامى ١٩١٩ و١٩٥٢، وعاش أكبر صراعات الماضى ضد مختلف القوى الاستعمارية.

وفى سبيل أدبه الإنسانى والاجتماعى الرفيع، كان محمود تيمور يسافر إلى أوروبا، ويتصل بالحضارة الغربية، كما كان - وهو ابن الأسرة الثرية الأرستقراطية - يزور الريف المصرى، وخاصة قويسنا حيث تمتلك أسرته مزرعة خاصة، فيخالط الفلاحين

والبسطاء، ويعيش مشاكلهم، ويتغلغل فى نفوسهم، ثم يعود ليكتب لنا عن الإنسان المصرى، وأمله فى الحب والحرية، والخير والسلام.

ولئن كان محمود تيمور قد ودعنا، وانتقل إلى رحاب الله فى ٢٥ أغسطس عام ١٩٧٣، إلا أنه سوف يظل حيًا فى فكرنا، وفكر الأجيال من بعدنا.

فمن أجلنا أفنى تيمور من عمره خمسين عامًا، أنفقها فى عملية الخلق والإبداع، ووهبنا خلالها أكثر من سبعين كتابًا مؤلفًا، تحوى أكثر من أربعمئة قصة قصيرة، وست عشرة مسرحية، وثمانى روايات، والعديد من الرحلات، والدراسات الأدبية واللغوية والاجتماعية.

و"بنت اليوم" التى بين أيدينا الآن، هى المجموعة الأخيرة، والخامسة والعشرون فى سلسلة مجموعات محمود تيمور القصصية. وقد صدرت فى يوليو عام ١٩٧١ قبل رحيل الكاتب بعامين تقريبًا.

والمجموعة مبدوءة بدراسة تحليلية للصحفى الأديب "فتحي الإبيارى" وهو من أبرز المتخصصين فى أدب تيمور، وقد خصه بثلاثة كتب من مؤلفاته، وقد تناول فى دراسته حياة أديبنا الكبير، وعالمه الرحيب، ودوره القيادى فى مولد الأقصوصة العربية، وزعامته لها، وتربعه على عرشها طوال نصف قرن من الزمان.. حيث أصبح شيخ القصة العربية المعاصرة.

ونمضى إلى "بنت اليوم" فنكتشف غياب "نوسة" بطلة القصة، وذلك لأنها فعلا بنت اليوم، الطائشة اللامبالية، التى سمحت لنفسها بالتححرر من جميع القيود العائلية، والخروج على كافة التقاليد الاجتماعية، فأخذت مفتاح شقة الأسرة معها، وذهبت إلى السينما فى حفلتها المسائية، برفقة سيدة من المعارف، سيدة مستهتره، تزوجت ثلاث مرات، وطلقت ست مرات، وكل زواجها عرفى، وهى مدالة ويسمونها "نوللى".

ويعود "فهم" أبو نوسة وأما "زكية هانم" من سهرتهما فى إحدى
السينمات الأخرى، فيلجئان إلى جارهما "الدكتور راشد" أستاذ الفلسفة
بالجامعة، حيث يقضيان فى ضيافته بعض الوقت، ريثما تعود ابنتهما
نوسة من السينما وتفتح لهما الشقة.

ومنذ البداية يتضح لنا تأثير البعد الزمنى، والتطور الحضارى،
والفكر المستورد، وما ينتج عن كل ذلك من تباين حاد بين أيديولوجية
الجيلين.. فالبنت نوسة تصادق سيدة مثل دوللى وتحمل مفتاح الشقة،
وتخرج وتدخل وقتما تشاء، وهى لا تذهب مع والديها إلى نفس
السينما وإنما تختار لنفسها سينما أخرى، ربما سعياً وراء فيلم أجنبى
من نوع خاص، يرضى شبابها النزق.

ومما يؤسف له أن نوسة لا تعود إلا بعد منتصف الليل، وبعد أن
تتمزق أعصاب والديها قلقاً عليها، ويفكران فى الاتصال بشرطة النجدة.
وأثناء تناول طعام العشاء، يدير الكاتب حواراً فلسفياً ساخراً بين
الدكتور راشد والذى نوسة التى أقسدها تكليل أمها لها..

فهم (مهتاجاً): نوسة طائشة.. يجب أن نشرف على تصرفاتها.
زكية هانم: لو تركتك تتصرف مع "نوسة" كما تريد لضربت
من حولها سوراً من حديد، ولأصبحت المسكينة
سجينة حجرتها لا تبرحها.

فهم: أما أنت فتطلبين لها الحرية بلا قيود ولا حدود
ولكن العاقبة ما تكون.

الدكتور راشد: الحرية لا تؤذى يا صديقى.. إنها مجال صحى للنفس
البشرية.. وفتاة مثل "نوسة" نشأتها طيبة، وأسرتها
كريمة، وتعليمها جيد، لا خطر عليها من الحرية.

فهم: أنت تتكلم عن النشأة والأسرة والتعليم، ولكن ماذا
تصنع كل هذه العوامل أمام التيارات الجارفة التى
يتعرض لها شباب الجيل!؟

يمثل هذا الحوار الفنى السلس يقدم لنا الكاتب مضمون القصة، وجوهر القضية، حيث نشاركه إحساسه بالمرارة، ونشفق على شباب هذا الجبل من الضياع والخسران، فى دنيا ضاعت فيها كل القيم الرقيقة.

ونغرق فى الدهشة، وبتملكنا الذهول، حين تصرخ فينا تلك المفاجأة العصرية.. فنوسة التى تسيء استخدام الحرية، لا تعود بعد منتصف الليل وحسب، وإنما تعود مسبوقه بزغاريد رفيقتها دوللى.. وذلك لأن البنت نوسة نفسها قد تمت خطبتها إلى شاب يدعى "فالح"، تصادف أن جلس بجوارها فى السينما.

فى جراءة بالغة تعلن نوسة لأهلها، أن فالح الذى رآها لأول مرة فى السينما، غازلها وخطبها، وقبلها، وهما يتابعان قصة عاشقين فى الفيلم.. وبعد الخروج من السينما، قدم لها خاتم الخطبة، وراقصها فى ناد ليلي، حيث شربا وأكلا.. ومعهما دوللى.

ثم أوصلهما بسيارته إلى البيت، وذهب ليعود بعد قليل على أن يتم عقد القران فى الحال.. والسفر بعد ساعة واحدة، لقضاء "شهر العسل" فى الخارج.

وينهار الأب، وتفرح الأم، ويتساءل الدكتور راشد عن العريس..

الدكتور راشد: وثقافته؟

دوللى: عنده شهادات كثيرة، وجوائز أكثر.

نوسة: بطل فى كرة القدم.

فهيم (وهو يبتلع ريقه، هزيل الصوت): كرة القدم.. وهل يكسب من كرة القدم؟

دوللى: يكسب الألوف المؤلفة، كن مطمئناً، محفظته عامرة.

ويحضر فالح ومعه المأذون، وعلى وجه السرعة، وبدون مهر، يتم عقد القران على جهاز تسجيل.. فالعريس قد أنهى بالفعل إجراءات سفر عروسه فى صحبته للخارج.. و"الهليكوپتر" سوف

تتقلهما فوراً من ميدان التحرير إلى مطار القاهرة الدولى.. وفى دقائق معدودة، وبعد وداع خاطف، ينصرف العروسان.

هكذا يتم كل شيء بسرعة صاروخية، ويبقى الوالدان فيما يشبه الغيبوبة، يترنحان على حافة الجنون، ويتساءلان فى يأس وذهول: هل تزوجت ابنتهما أم اختطفتم؟!!

وتحاول الأم أن تستدعى شرطة النجدة، ولكن الأب يطلب منها أن ترافقه إلى "مستشفى المجانيب".

ولقد أراد محمود تيمور بقصته الجديدة هذه، أن ينبهنا فى غير افتعال، إلى الدوامة التى توشك أن تبتلع شباب هذا الجيل، إذا نحن تهاونا فى رعايته، وتركنا تيارات الزيف تعصف به، وتنتزع منه ما يجب الحفاظ عليه من القيم والمبادئ.

ولقد قدم لنا الكاتب رؤيته الفلسفية الساخرة فى شكل قصة تمثيلية، رائعة الحوار محكمة البناء، تصلح لأن تكون مسرحية ذات فصل واحد.. وهى مشبعة بملامح عصر التكنولوجيا، والصعود إلى الكواكب، وتقيض بالحيوية والديناميكية.

وإلى جانب "بنت اليوم" تحتوى المجموعة على اثنتى عشرة قصة جديدة، تحفل بالنماذج البشرية المختلفة، التى يلتقطها محمود تيمور، فيعاشها، ويغوص فى داخلها، ويتناول أعماقها بالكشف والتحليل، ويفهم مشاكلها النفسية والحياتية، ومن خلال ذلك يعالج الكثير من قضايا الإنسانية والاجتماعية.

فى قصة "صنديد" يتم زرع عينين جديدتين لأحد القضاة بدلا من عينيه التالفتين، وتعود إليه نعمة الإبصار، فيحاول جاهداً أن يعرف صاحب العينين، الذى تفضل عليه فجعله يرى الدنيا من جديد.

ويخبره الطبيب بأن صاحب عينيه الجديدتين هو المجرم "صنديد" الذى حكم عليه بالإعدام فى آخر قضية عرضت عليه، قبل أن يحال

إلى المعاش، فتتأزم نفسية القاضي.. ويحدث نفسه:
"لكأني قتلته لأظفر بعينه.. لقد كنت أداة هلاك له، على حين كان
هو مصدر نور لي".

ويعود القاضي فيدرس من جديد ملف القضية، ويراجع حيثيات
الحكم، فيكتشف أنه قد ظلم صنديد حين حكم عليه بالإعدام، بينما
كانت ملاسبات القضية تحمل في طياتها ما يوجب عليه أن يخفف
الحكم، ويترك صنديد يستمتع بنعمة الحياة.

وتزداد نفسية القاضي تأزماً، وسيطر عليه الإحساس بالذنب، ولا
يجد لنفسه مخرجاً، فيلجأ إلى إعداد بحث إنساني، يخاطب فيه زملاءه
رجال القضاء والقانون، ويدعوهم إلى وضع أسس جديدة لمجتمع
جديد، تسوده العدالة الصحيحة، وتشيح فيه الرحمة الحقّة.

ولقد كان محمود تيمور، في أدبه وفنه يدعونا للإيمان بالقيم
والمبادئ، والحب والحرية، والخير والسلام، وما شابه من المعاني
الإنسانية النبيلة، التي تكتمل بها إنسانية الإنسان.. ولم يكن الكاتب
ليصرح لنا بدعوته، وإنما كان بمقدرته الفنية يجعلها تسرى في الفكر
والوجدان منا.

وكما لمسنا هذه الدعوة في "بنت اليوم" و"صنديد"، فإننا نستطيع أن
نحس بها في معظم قصص المجموعة..

ففي قصة "شندويل يبحث عن عروس" يتكفل أحد رجال الخير،
بشندويل اليتيم الأبوين، وإذ يموت الرجل، يصبح شندويل هو راعي
الأسرة، المكونة من الأرملة وبناتها الثلاث.. وفي حرص على القيم
والأخلاق، يحافظ شندويل على شرف الأسرة، وكلما فكر في التقدم
للزواج من إحدى البنات الثلاث، يفاجأ بأن غيره قد سبقه إليها، فيتجه
سيراً بحبه إلى سيدته الأرملة ويتزوجها، وفي ذلك انتصار للحب
على جميع الفوارق الاجتماعية.

وفى قصة "العيد له ضحية" يضرب لنا "أبو محمد" وزوجته مثلاً أعلى.. فهو سائق سيارة أجرة، ورغماً عنه تفتك سيارته بإحدى السيدات، فيتخلص من جثتها خوفاً من العقاب، ويعود إلى بيته ليتمتع بقضاء العيد مع أسرته، ولكن زوجته تطلب منه أن يسلم نفسه للشرطة، ويعترف بما حدث.. فيفعل.

ولقد كان أديبنا الإنسان، يطارد نوى الأقنعة المزيفة فى مجتمعنا ويفضحهم أينما وجدهم..

فى قصة "شفاه ظامنة" نجد بعض الأزواج الذين يتحدثون عن الشرف والأمانة الزوجية.. ثم يمارسون الخيانة فى الخفاء.

وفى قصة "ظلام ونور" نجد بائعة الهوى التى تلتطخ وجهها بالأصباغ والمساحيق، لتعجب المريدين ليلاً، ولكن من يقع فى هواها ليلاً، لا يملك إلا أن يفر منها، حين يرى وجهها فى ضوء النهار.

وعموماً، فإن قصص المجموعة، ذات المنهج الواقعى، والروح الإنسانية، تتميز بجمال الأسلوب، وثراء المضمون، وجودة التكنيك الفنى.

ومما لا شك فيه أن "بنت اليوم" تعد إضافة قيمة لمكتبتنا العربية، وهى خير هدية قدمها لنا أديبنا الكبير محمود تيمور، قبل أن ينتقل إلى رحاب الله.

محمد عبد الحليم عبد الله

وقصة لم تتم (*)

قصة لم تتم هي سبعة فصول من آخر عمل روائي، كان الأديب الكبير محمد عبد الحليم عبد الله يكتبه قبل أن ينتقل إلى رحاب الله. أثناء قراءتي لهذه الفصول، كنت أود ألا أصل إلى نهايتها أبداً.. فما أقسى ما تعنيه تلك النهاية.. إنها ليست النهاية التي أرادها الكاتب لروايته، ولكنها النهاية التي أرادها الله للرواية والكاتب معاً. وبالرغم من حبنا للكاتب، فقد أصبحنا مضطرين لأن نتبع تاريخ ميلاده بتاريخ آخر.. هو تاريخ وفاته.

ولقد ولد محمد عبد الحليم عبد الله في ٣٠ مارس عام ١٩١٣ بقرية كفر بولين مركز كوم حمادة بمحافظة البحيرة - جمهورية مصر العربية.

وتوفي في ٣٠ يونيو عام ١٩٧٠ بعد حياة حافلة ومضنية. وإن كان لنا عزاء، فهو تلك الثروة القيمة من الأعمال الروائية والقصصية، التي وهبها لنا الكاتب قبل أن يرحل إلى دار البقاء، وهي أعمال جديرة بالخلود، وسوف تقرأها الأجيال من بعدنا.

ولقد حصل محمد عبد الحليم عبد الله على دبلوم دار العلوم عام ١٩٣٧، وعمل محرراً بمجمع اللغة العربية.. وكانت أول رواية نشرها هي "لقطة" عام ١٩٤٧.. وبلغ مجموع أعماله اثنتي عشرة

* - نشرت في جريدة "القبس" الكويتية في ٢٨ يونيو ١٩٧٨.

رواية وتسع مجموعات قصصية، أخذ بعضها طريقه إلى السينما والإذاعة والتلفزيون.. وعديد من الأحاديث والمقالات الأدبية، نشرت في مختلف الصحف والمجلات.

وثمة رواية أخيرة، لم يمهلها الموت حتى يتم كتاباتها.. ونظرًا لأنه كان يؤمن بأن عنوان العمل الفني ينبثق من داخله، فهو لم يكن يضع عناوين مؤلفاته إلا بعد انتهائه من كتابتها.. وبالتالي.. فقد ترك هذه الفصول السبعة من روايته الأخيرة.. بلا عنوان.. وقد سميت فيما بعد تسمية انبثقت من داخلها فعلا.. فهي "قصة لم تتم".

والحديث عن محمد عبد الحليم عبد الله، يثير قضية هامة، فكثيرًا ما ارتفعت الشكوى من أننا قوم لا نهتم بتكريم كبار أبنائنا وفنانينا أثناء حياتهم، ولا نعرف قيمتهم الحقيقية إلا بعد وفاتهم.. ولكنني أعتقد أن محمد عبد الحليم عبد الله، لم ينل حظه من التكريم.. لا أثناء حياته، ولا بعد وفاته - ولكي أكون أمينًا، فإنني أذكر أن روايته "شمس الخريف" حظيت بجائزة الدولة للأدب عام ١٩٥٣ أى وهو فى الأربعين من عمره. وكانت تلك هى المرة الوحيدة التى تم فيها تكريم محمد عبد الحليم عبد الله، من قبل الدولة، بيد أنه عاش سبعة عشر عامًا، مليئة بالعمل الجاد، والإنتاج الخلاق، فكان له دوره الفعال فى إثراء المكتبة العربية، وكان بذلك مستحقًا للمزيد من التكريم والتقدير.. ولكنه لم يحصل على شيء.. اللهم إلا حب قرائه له، وإعجابهم بما يكتب.

أما بعد وفاته، فما هى نكراه تكاد تمر فى صمت وهدوء دون أن يشعر بها أحد.

وقصة "لم تتم"، يضمها كتاب مبدوء بدراسة مطولة، كتبها المستشرق الدومنيكى الأب "جوردان موتو" تحت عنوان "محمد عبدالحليم عبد الله.. رواى الدلتا".. وقد تناولت الدراسة الإنتاج الروائى للكاتب إلى ما قبل عام ١٩٦٦.. (وهو تاريخ نشرها فى

وقد استهل الدارس دراسته بعرض شامل لروايتي "الجنة العنراء" و"شمس الخريف".. ثم استخرج الخصائص الفنية والمفاهيم الأساسية في الإنتاج الروائي للكاتب، ناظرًا إليه من بضع زوايا هي: البطل.. معنى الحياة.. المرأة.. الدين.. المجتمع.. الشكل الأدبي..

وثمة دراسة أخرى كتبها يوسف الشاروني "تحت عنوان قصة لم تتم ودلالاتها في التطوير الروائي عند محمد عبد الحليم عبد الله".

وقد أشار الأديب الدارس إلى نشأة الكاتب الريفية، وأثرها على أدبه في مرحلته الأولى. ثم ذكر أنه انتقل إلى مدينة منهور ومنها إلى القاهرة لتلقى العلم، وبين انعكاس ذلك على أبطال رواياته وقصصه.. ومضى يكشف لنا عن ملامح التطور الروائي عند الكاتب من حيث الموضوع والشخصيات والأسلوب.. متناولاً بعض رواياته، مع عناية خاصة بالرواية التي بين أيدينا.

ونستعرض معاً قصة لم تتم، فنجد أنها قصة جماعة من الأصدقاء المتقنين، جمع بينهم تقارب اتجاهاتهم الفكرية، وحبهم لأستاذهم ووالدهم الروحي الدكتور أمين.

في المساء نرى الدكتور أمين، أستاذ التاريخ يغادر بيته، ويذهب فيطوف حول جامعة القاهرة ثم يتوقف أمام كلية الآداب، وقد استبد به القلق.. إنه يسترجع ذكرياته في رحاب الجامعة، بعد أن اعتزل الخدمة، لبلوغه سن المعاش.

يودع الدكتور أمين الجامعة، ويعود إلى بيته في مصر الجديدة، حتى لا يتأخر على من ينتظرونه من تلاميذه، الذين أرادوا أن يكونوا إلى جانبه ليلة اعتزاله الخدمة.. وهي بطبيعة الحال ليلة عيد ميلاده.

نلتقى مع الدكتور بتلاميذه الأصدقاء.. منى المنشاوي، صحفية لامعة، زوجها مفقود في حرب يونيو ١٩٦٧.. فتحى سالم، مكفوف

البصر سليم البصيرة درس الفلسفة بإحدى جامعات فرنسا.. زهير أبو على ثرى وابن تاجر أسلحة.. وأخيراً.. فهمى سكر، وهو مدرس محدود الدخل.. أما الدكتور أمين نفسه فهو رجل مطمئن، شعار من يحبهم هو كلمة "لا خوف".. وعنده شيء (معنوي) يستطيع أن يمنحه للخائفين، فيزول عنهم خوفهم.

يلتف التلاميذ حول أستاذهم، ويدور بينهم حديث شيق متنوع الاتجاهات، يتخلله حوار فلسفي عن الحرب والموت.. والخوف والحقيقة.. وتقدم منى المنشاوي هدية رمزية لأستاذها هي عبارة عن عسة بللورية.. (يبحث بها عن الحقائق في خفايا التاريخ).

وبالرغم من أن منى قد فقدت زوجها في الحرب، ولا تعرف إن كان حياً أم ميتاً - وقد مات أبوها من قبل - فإنها تبدو مثل مدينة شامخة أبت أن تطفئ الأنوار، إذ تضغط أجزائها في أعماق نفسها وتحاول أن تتجاوزها بالاستغراق في العمل، وممارسة الحياة، وتبادل الحب الإنساني في صدق ونقاء مع المحيطين بها من الناس..

نموذج رائع رسمه محمد عبد الحليم عبد الله للمرأة المصرية المثقفة والعاملة، في النصف الثاني من القرن العشرين.. وهو يعبر عن رأيه حين يقول.. "الحياة عند منى معناها سعة الموجة التي يحدثها الشخص عندما يلقي به القدر على صفحة الدنيا".

وتجري أفكار الكاتب على لسان منى فتقول.. "كأن كل من في هذه الحياة كرامة، عليها أن تقيم لنفسها دعائمها، وإلا زحفت على الأرض كالكسيح، وأصبحت بعد قليل لا ورق ولا عناقيد".

ويراها أصدقاؤها صحفية ومفكرة، وامرأة ذات جمال وأنوثة، فيعجبون لمقدرتها على معاشتهم، وكأنها قد أعدمت "الجنس" فلم يعد له وجود في حياتها على الإطلاق.. وكثيراً ما يفكر فيها أحدهم (بخبث) ولكنه سريعاً ما يند تفكيره في الحال، لتأكده من استحالة تحققه.

ويتخذ الكاتب من مأساة السيدة منى المنشاوى، ومن الفترة الحرجة التي كنا نعيشها اجتماعيًا وتاريخيًا عقب نكسة ١٩٦٧ منطلقاً لمناقشة قضية الحرب والموت، وهي هدفه الأساسى من روايته فيما يبدو، وهو بطبيعة الحال، لم يعيش حتى يشهد انتصارنا المجيد فى أكتوبر ١٩٧٣.

وهو يربط بين "النكسة" وبين طبيعة حياتنا التي كنا نحياها آنذاك، بمقدرة فنية فائقة، وأسلوب قوى رصين ينضح بمرارة الأحداث، وينم عن معاناته وآلامه النفسية وهو يعيش تلك الأحداث، التي أوقعتنا فيها النكسة.

يقول فهمى سكر "كنت أسير فى شوارع المدينة بعد الفجيرة التي وقعت وأنا أعجب.. لماذا لا يلطم للرجل وجه للرجل الذي يلقاه فى الشارع!؟"

ويقول فتحى سالم.. "نحن الآن يا منى فى هذه الفترة من تاريخنا، لا يكاد أحدنا يبدأ بفكرة حتى ينسى بماذا بدأ، وللتاريخ الواقف هذه الأيام أمام سبورة الزمن يبدو كمدرس مرتبك، يكتب ويمحو حتى تستقر الصورة".

ويمضى أديبنا للفيلسوف فى تعميق مضمون روايته، من خلال مهارته فى توظيف الحوار، فيحلل ويستنتج ويعالج، فى حكمة بالغة، وبناء محكم..

يقول فهمى سكر.. "نحن محتاجون للموت فى مصر، ومحتاجون لأن نتخذه وسيلة إلى غاية، وعلينا الآن أن نعود للموت بطريقة جديدة".

ألا ما أشد التطابق، بين رؤية الكاتب قبل سنوات، وبين ما حدث بعدها فى أكتوبر ١٩٧٣. حيث اتخذنا الموت وسيلة إلى غاية ومارسناه بطريقة جديدة، فكتب النصر لنا، ولعل الكثيرين ممن ماتوا فى سبيلنا، ردوا فى أنفسهم، ما رده كاتبنا من قول غاندى: "يجب

ألا نخاف الموت، إلا إذا خفنا استبدال ثوب بثوب" .. فكرة فلسفية قد تبدو بسيطة ولكنها تحتاج إلى أبطال مؤمنين.

لقد نجح الكاتب تمامًا في أن يقدم لنا فلسفته العميقة، من خلال أبطال روايته، والأبعاد التي رسمها لكل منهم، والحوار الفني المكثف الذي أنطقهم به، متفاعلين مع الواقع الحي المتأزم الذي أوجدتهم فيه، حيث لم يكونوا وحدهم، بل كنا جميعنا معهم أيضًا..

تقول منى المنشاوى.. "إن الله قال لنا بلغة الطوفان، إن الحرب في سبيل بناء صرح كبير، لا ضير عليها إن هدمت أكواخ الينامى والفقراء، لتستعمل لبناتها وأخشابها في بناء الصرح العالى".
ومنى المنشاوى لم تفقد الأمل كلية، فهي أحيانًا لا تنام الليل ويخيل إليها أن زوجها في الغرفة المجاورة.

ويحضر إليها من يبنئها بأنه لا يزال على قيد الحياة، فتسافر إلى الأردن لتبحث عنه في المستشفيات، فتري من فقدوا ذاكرتهم، ومن أصابتهم عضة الحرب.. وتعود مقتنعة بأن الموت في الحروب هو أقل ما يجب أن يثير أحراننا.. وتقبل ابنها "عمرو".

وينظر الكاتب إلى قضية الموت والحرب من مختلف الزوايا.. فزهير أبو على يخاف الموت بينما أبوه تاجر الأسلحة يبيع الموت ويدبر حوادث القتل للناس، بصورة جعلت الابن يعتقد أن الموت لم يعد من فعل الله وحده!

ومن تجارة الموت، يجمع الأب ثروة فاحشة، ويصبح ذا بأس ومكانة اجتماعية.. ما أبشعها من صورة يرمز بها الكاتب لتجار الحرب والموت في جميع أنحاء العالم.

يموت الدكتور أمين.. وتنتقل لقاءات الأصدقاء إلى بيت فتحي سالم.. وإذا كنا منذ بداية الرواية نشعر أن منى المنشاوى تحترم فتحي سالم المنقف.. الكفيف الأعزب احترامًا عميقًا وتعامله برقة

ومودة، فإننا فى النهاية نكاد نحس بالدفء يتسرب إلى مشاعر كل
منهما تجاه الآخر..

فماذا نتوقع لهما.. دوام الصداقة الفريدة.. أم تلونها بلون آخر؟!

وهل يعود للزوج الغائب؟!

لا أحد يعلم.. تلك أسرار أخذها للكتب معه ومضى إلى رحاب الله.

آمال وأقدار ثروت أباطة

الكاتب الروائي ثروت أباطة، شفاه الله وعافاه، مفكر كبير، وأديب مبدع، يكتب الرواية والمسرحية، والقصة القصيرة والمقال الصحفي، ويمتدح الملايين من قرائه ومحبيه بفكره الراقى وأدبه الرفيع، منذ أكثر من نصف قرن من الزمان. وهو من صفوة مفكرى وكتاب القمة، أثرى الأدب العربى بما يزيد عن أربعين كتابًا. وأخذت معظم أعماله طريقها إلى الإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح، فضلًا عن الترجمة إلى لغات أخرى. وقد حصل على جائزة الدولة.. التشجيعية ثم التقديرية.

وعلى ذلك فهو قد أسهم بإنتاجه الغزير المتنوع فى تشكيل وعى ووجدان أجيالنا العربية، وتطوير مفاهيم ومعطيات ثقافتنا القومية، وأعتقد أن الكثيرين من كتابنا اليوم، خرجوا من معطف أستاذنا للكبير ثروت أباطة، بعد أن فتح لهم أبواب فكره الشامل، وأخذ بأيديهم إلى وسائل النشر المختلفة.

و.. "آمال وأقدار" هى أحدث رواية نشرها أديبنا القدير ثروت أباطة، وهى اجتماعية المضمون، إنسانية الهموم والأهداف، تنتمى إلى المذهب الواقعى، الذى تعوناه وأحببناه من كاتبنا الجاد الملتزم، بمجمل القيم الإنسانية والدينية، وقضايا العدل والحرية، التى يقدمها لنا فى أجمل الأشكال الإبداعية والفنية.

وجدير بالذكر، أنه لم يجنح يومًا إلى العبث واللامعقول والإبهام والغموض، لإدراكه الصادق أنه لا فائدة ترجى من أدب غير مفهوم للقارئ، وربما للكاتب أيضًا على حدٍ سواء، وبالتالي، فلا حياة له.

وقديماً حدثني الأستاذ ثروت أباطة حول هذا الموضوع قائلاً:

- أنا أرفض ما لا أفهم!

وفى سخريه أضاف:

- ومن غير المعقول أن أستعين بمترجم يترجم لى ذلك الألب

الغامض إلى نفس لغته التى كتب بها!

واستطرد يقول:

- أنا واثق أن هذا الاتجاه من الألب، سيقضى على نفسه بنفسه!

وكان له الحق فى كل ما قال، وقد نشرت الحديث كاملاً فى حينه،

بمجلة البيان الكويتية، منذ أكثر من ربع قرن.

ونمضى إلى "آمال وأقدار"، فوجد أنها رواية ديناميكية، تنتقل بنا

ما بين الريف والمدينة، وهى غنية بالنماذج البشرية المنحرفة

والمعتدلة، والمتصارعة بطبيعة الحال.

أبو سريع علوان، الصراف البخيل، نلتقى به بعد أن تقاعد عن

العمل مبكراً، حيث ادخر أموالاً بطرق شتى، واشترى أرضاً فى

قرية بالشرقية، أضافها إلى ميراثه من أبيه، ليتحقق طبقة أعيان

البلد، كمرحلة أولى مما خطط لنفسه.

ويستدعيه وجدى بك، أغنى أغنياء المنطقة، والمالك لمائة فدان،

ليدير له حساباته، ويشرف على الكاتبين لديه، مقابل راتب شهري.

فيستعين به أبو سريع فى توظيف ابنه الوحيد لطفى، الذى تخرج من

كلية تجارة للقاهرة، بعد معاناة قاسية فى المعيشة بسبب شح أبيه.. ذلك

الأب الذى يختار لابنه بالتحديد. البنك الاستثمارى الذى يتعامل معه

وجدى بك، وبالفعل يتم تعيين الابن فى قسم الائتمان بالذات.

ومن القاهرة نعود إلى الشرقية، حيث يعيش فى قرية مجاورة

السفاح عيروس النمر، القاتل المحترف، زعيم عصابة القتل بالأجر،

واغتصاب الأراضي بالقوة، الذى يهرب أهالى المنطقة بأسرها، ولا

يتورع عن الاستيلاء على ميراث أخيه وأختيه من الأرض بالأمر الجبرى، لقاء ثمن بخس، وبذلك يصبح من أعيان المنطقة، إضافة إلى سطوته وجبروته.

وابنته الوحيدة والتميمة جدًا سعدية، فشلت فى الدراسة، ولم يجدها نفعًا ما تلقته من شرح للمعلومات على يدى أبى سريع وابنه لطفى.

ولكن لطفى أبو سريع يقدم على الزواج منها، مع سبق التخطيط والإصرار، رغم دمامتها الشديدة، لأنه مثل أبيه ينشد الثراء السريع، وهى الابنة الوحيدة لأبيها الغنى، وما تملكه أو ترثه سوف يؤول بشكل أو بآخر، إلى من يكون زوجًا لها، ويعجب أبوه بتفكيره فيخطبها له.

ويدرك السفاح طبعًا هدف تلك الزيجة ولكنه يتغاضى، لعلمه أن لطفى يخافه كغيره من الناس، وسيكون خادمًا مطيعًا لابنته، ولن يجرؤ على المساس بممتلكاتها وهو، الأب، على قيد الحياة، لذلك كتب وسجل لها كل ما يملك على أنه بيع وشراء، حتى لا يترك أى ميراث من بعده لإخوته! واتخذ من لطفى أحد الشاهدين فى الشهر العقارى.

تودع إحدى النساء المطلقات قيمة نفقتها ومؤخر صداقها لدى أبى سريع بدون إيصال، خوفًا من استيلاء أبيها عليها، فيردها إليها وقت طلبها، ويشتهر بين الناس بالأمانة كما أراد، ويحج طمعًا فى لقب الحاج.

وتتوالى عليه الودائع والأمانات، التى من بينها مبلغ ألف وستمائة جنيه، تخص الشيخ عبد الحميد أبو جريشة المقرئ الكفيف، الذى اخرها طوال عمره الماضى، بمشقة بالغة، وتضحيات كثيرة، ويعتزم أن يتزوج بها قمر العوراء، رغم أن صديقه المبصر سلامة مرسى، أخبره أنها قبيحة الشكل، ويدور بينهما حوار فلسفى جميل، مؤداه أنه كفيف ولن يرى قبح عروسه، ولن يضيره كونها عوراء، كما أنها وهى العوراء القبيحة، لن تجد زوجًا أفضل من كفيف، وعينها الواحدة سوف تكفيهما ليريا بها معًا!

وفى ثرواية، كم من مقاطع حوارية عميقة وممتعة، غاية فى الجمال والروعة، كنت أود أن أضع بعضها أمام القراء الأعزاء، بيد أننى أخشى ألا تتسع المساحة المتاحة، فأعود وأواصل..

يستمتع أبو سريع صدفة وخفية إلى حوار بين عيروس للسفاح، وشمندى رئيس عصابته، حيث يأمره زملاءه بقتل سعفان الأشهب وأسرته جميعاً، يوم منتصف الشهر، فى عقر دارهم، وهم يتناولون عشاءهم، لرفضهم التخلّى له عن أرضهم!

فيخشى أبو سريع أن يأمر بقتله هو أيضاً، لو علم أنه سمع ذلك الحوار، وهو فى نفس الوقت، يرغب فى التخلص من ذلك السفاح، لكى تضع ابنته سعدية يدها بشكل حقيقى على جميع أراضيهِ وعقاراته، التى سبق أن امتكنتها منه رسمياً، ولكن مع وقف التنفيذ طالما بقى حياً، أما إذا أخذته أى داهية، فمن الممكن أن تصبح كل الممتلكات وكأنها فى حوزة لطفى زوج سعدية.

لذلك يسارع بإبلاغ الموضوع إلى وجدى بك، الذى يبلغ بدوره الشرطة، فتقوم بعمل كمين للعصابة، وتلقى القبض على أفرادها. الذين يقتل منهم زردق فى الهجوم، بينما يسقط زعيمهم عيروس فى غيبوبة الموت، وبذلك يكون أبو سريع قد تخلص منه.

منذ البداية، يطمع أبو سريع فى أن يغدو من أصحاب الملايين، الذين يقرأ عنهم فى الصحف، فيبيع أرضه إلى وجدى بك، ويأخذ ثمنها ومجموع ودائع الناس لديه، ويهاجر إلى القاهرة، ويستولى على قطعة أرض مباني مجهولة المالك، بواسطة سمسار وموظفين مزورين مرتشين. وبضمان تلك الأرض، وبمساعدة ابنه لطفى، يحصل على قرض كبير من البنك، ويكرر ذلك أكثر من مرة، ويصبح من رجال الأعمال، وقد اشترط عليه ابنه أن يقاسمه فى الأرباح، مقابل تسهيل حصوله على القروض.. وفعلاً بصيران من أصحاب الملايين، بتلك الطرق غير المشروعة!

ينور أصحاب الودائع المنهوبة، ويلجأون إلى وجدى بك، فيواجه أبا سريع، ولكنه ينكر نهائياً استلامه لأى ودائع، ولا يستطيع أحد تقديم أى إثبات يدينه.

ويصمم الشيخ عبد الحميد أبو جريشة المقرئ الكفيف على الانتقام، وتساعده الظروف، فزوجة زردق رجل العصاة الذى قتل، قد أودعت لديه مسدس القتل، الذى لاختفى ولم يره رجال الشرطة، حتى لا يضبطونه فيما بعد، وطبعاً لن يخطر على بال أحد أن كفيفاً يقتنى أو يخبئ مسدساً.

يأخذ الكفيف صديقه المبصر معه، ليريه العمارة الفاخرة التى يمتلكها ويسكنها أبو سريع بحى المهندسين، وفى لحظة الاستقبال يسلم عليه الشيخ ببسراه، مدعيًا أن يمناه مجروحة، ويحتفظ بيد غريمه أبى سريع فى يده اليسرى، وكأنه يسلم عليه بشدة وحرارة، وبسرعة يخرج يده اليمنى من مخبئها بجيب الكاكولا وبها المسدس، ويفرغ رصاصاته الست فى جسم أبى سريع فيريده قتيلًا.

ونرى الذهول الناجم عن مفاجأة القتل غير المتوقع من كفيف لمبصر، نراه فى عينى القتل، وعينى الصديق المبصر المرافق للشيخ، الذى لم يكن لديه أى علم مسبق بما حدث، ولا حتى بوجود المسدس، وبكل ثبات يطلب منه الكفيف القاتل أن يبلغ الشرطة، فهو مستعد لكل شىء.

وهى وإن كانت جريمة قتل، إلا أن روعة الحبكة الدرامية، التى شيد أركانها، ونسج خيوطها كاتبنا القدير فى غير حاجة إلى تعليق. ويتقبل الشيخ الكفيف الحكم بسجنه خمسة عشر عامًا بنفس راضية، ويكون تعليقه، أنه سوف يضمن قوت أيامه طوال سنوات السجن!

ويعود من الخارج الدكتور وائل نعمان الذى يدرس الدكتوراه، وموضوع رسالته أثر الأدب الفرنسى فى الأدب العربى، ويفاجأ بأن

أرضه قد اغتصبت، فيلجأ للقضاء، وتتكشف كل جرائم المرحوم أبي سريع وابنه لطفى، في اغتصاب الأراضي والتزوير، والنصب والاحتيال، وقد مر علينا مقتل الأب، أما الابن فيعاقب بالسجن عشر سنوات، ومصادرة أمواله هو وأسرته جميعاً.

إن، عايشنا أبا سريع وابنه لطفى، وعيدروس زعيم العصابة، الذين هم نماذج بشرية صارخة لأوائك اللصوص والباطلية المنتشرين حولنا بكثرة هذه الأيام.. وقد كشفهم لنا ابن الشرقية، الراوى الحقوقى الكبير، وأخضعهم لمحاكمات عادلة.

وجوانب هذه الرواية الاجتماعية فى مضمونها، ليست كلها مأساوية قاتمة، وإنما نجد فيها أيضاً الجانب المشرق المضيء، المتمثل فى وجدى بك، كبير أغنياء القرية وأسرته العريقة، وهو يقم بصفة أساسية فى القرية، حيث أملاكه الواسعة، ويملك أيضاً بيتاً فى القاهرة، يكثر من التردد عليه، والإقامة فيه أحياناً، لمقتضيات عائلية حميدة، ولكنه أبداً لا ينسلخ عن أهل قريته.

نراه بإنسانيته الصادقة، يفكر فيهم، ويهتم بهم، ومن أجلهم يبحث عن الحق والعدل، ويعمل على نصره المظلومين المفتري عليهم، الذين بطش بهم أبو سريع أو صنوه عيدروس، أمثال الشيخ عبد الحميد أبو جريشة، المقرئ الكفيف الذى لا يمكن أن ننساه.

ثم نجد ابن وجدى بك، تامر طيب الخلق، الذى يبدأ تعليمه فى المدارس الفرنسية، ربما لأن أمه صالحة هانم فرنسية الثقافة، وهى ابنة مستشار، وذات حسب ونسب، إضافة إلى أن الأب وجدى بك واسع الثراء كما رأينا.

يتخرج تامر من كلية الحقوق بتفوق، ويختار أن يعمل فى المحاماة، ويسعى إلى تحقيق العدالة، ويقف إلى جانب الضعفاء، المنهزمين والمطحونين من أبناء قريته، ويترافع لصالحهم أمام المحاكم بالمجان، وقد اختاره الشيخ عبد الحميد الكفيف، ليدافع عنه

فى قضية قتله لأبى سريع.

وهو محام ناجح ومتقف، يهوى الألب، ويتزوج من رحاب خريجة الآداب وابنة خالته، ويكونان معاً أسرة مصرية نموذجية، أنهما سليلاً أسرة مصرية عريقة.

ولعل أديبنا الكبير، بنكاته الشديد، وبراعته الفنية، أراد لنا أن نقارن بأنفسنا، ونلمس الفروق والمتناقضات بين أسرة وجدى بك، وأسرة أبى سريع، وما أفرزته كل منهما للمجتمع.

كل ذلك فيما عودنا عليه أستاذنا الجليل، من بناء فنى شيق ومحكم، بلغته الفصحى الشاعرية، وحواره الفلسفى العميق، وأسلوبه الأصيل المتميز.

٢٨ أبريل ١٩٩٨

لقاء مع ثروت أباطة (*)

الأديب المبدع ثروت أباطة، عرف بحبه وإخلاصه لأبيه وفنه، إلى الحد الذي جعله يقرر أن يتفرغ تفرغاً كاملاً للتعبد في محراب الأدب والفن.

اتخذ هذا القرار وهو لا يزال في مرحلة الشباب المبكر.. ثم تخرج من كلية الحقوق، وكان من اليسير عليه أن يحظى بأفضل المناصب الحكومية، باللسانس الذي يحمله، وبفضل نفوذ أسرته العريقة - وقد كانت الأمور في مصر تجري هكذا قبل الثورة - ولكنه التزم بقراره، ورفض أن يخضع للقيود الوظيفية، خشية أن تحد من حريته كفنان، أو تحول بينه وبين تحقيق آماله وتطلعاته الأدبية.

ونحن نلتقى به اليوم، بعد أن أنفق من عمره ربع قرن أو يزيد في ميدان الخلق والإبداع، وبعد أن أصبح ذلك الكاتب اللامع، الذي أثرى حياتنا الفكرية، وأضاف لمكتبة الأدب العربي أربعة عشر كتاباً، تعد ثروة حقيقية نعتز بها جميعاً.

ومؤلفاته تتكون من: سبع روايات، وأربع مجموعات قصصية، ومسرحيتين، ومجموعة تمثيلية إذاعية.

وبعض هذه المؤلفات قد أعد ومثل في الإذاعة والتلفزيون، والسينما والمسرح، وبعضها الآخر يعد أو ينفذ في الوقت الحاضر.

وأدب ثروت أباطة يتسم بالشاعرية والعمق، والأصالة والجودة، يهتم بالواقع الاجتماعي، والعلاقات الإنسانية، وهو من خلال كتاباته

* - نشرت في مجلة "البيان" للكويتية في فبراير ١٩٧٢.

يهمس لنا بحبه الصادق للإنسان، وتقديسه للعدل والحرية في مجتمع ترفرف عليه قيم الخير والرفاهية.

وجدير بالذكر أن الدولة كرمت "ثروت أباطة" وتوجته بجائزة الدولة عام ١٩٥٨.. عن روايته "هارب من الأيام".

وقد وصف أدبه الناقد الكبير الدكتور "عبد القادر القط" فقال: إنه يتميز بلغته الشعرية.

وأيضاً، قال عنه الناقد الدكتور "عبد الغفار مكاوي": إن ثروت أباطة يحاول أن يربط التراث العربي بأحدث تطورات الألب العالمي في فن القصة إلى ما قبل اللامعقول، عن طريق الأسلوب العربي الجزل جداً، ومحاولاته الجمالية في هذا الأسلوب، مع التبسط في الحوار إلى درجة تشعر القارئ أنه مكتوب باللغة العامية، بينما هو في الواقع بالعربية الفصحى.

كما أن الناقد "مهدي بندق" أصدر كتاباً بعنوان "الدين والفن قسى أدب ثروت أباطة" وهو عبارة عن دراسة شاملة لأعماله التي سبقت روايته "شئ من الخوف".

ولقد استقبلني الأستاذ "ثروت أباطة" بما أعرف عنه من الطيبة والمودة والتواضع، ومع ابتسامته المشرقة، دار الحوار بيننا:

نشأة الكاتب:

* أرجو أن تحدث القراء عن نشأتك، وما تخللها من العوامل التي أثرت في تشكيل قدراتك الأدبية.

- لقد ربيت في بيت والدي "سوقي باشا أباطة" .. وكان له أكبر تأثير على تكويني الإنساني والأبوي.. إذ كان البيت ملتقى لأدباء مصر جميعاً، وقد أفدت من هذا فائدة كبرى.. كما أن اختلاطي بالشعراء جعلني أهتم باللغة العربية اهتماماً بالغاً، فتكون لدى محصول كبير من العلوم الأزهرية التي هي أساس من أهم أسس اللغة العربية.

ووجودى فى هذا البيت أيضًا جعلنى أختلط بجميع طبقات الشعب.. فالفلاحون مثلًا جزء من حياتى وقد عايشتهم المعاشة التى مكنتنى من كتابة "هارب من الأيام" و"شئ من الخوف".

ولقد عاشرت الطبقة التى يقولون عنها الطبقة الأرسقراطية، فاستطعت أن أكتب "قصر على النيل" و"ثم تشرق الشمس".

وأعتقد أن ما توفر لى فى بيت أبى، قل أن يتوفر لغيرى، فهو رجل كان جاهه يعتمد على صلته بجميع طبقات الشعب، صلة أبوة وأخوة، ومن هذه الصلات تكونت ثقافتى الحقيقية فى الحياة.

النشر لأول مرة:

* ما هى نكرياتك مع النشر لأول مرة؟

- كان لى مدرس وصديق فى نفس الوقت هو الأستاذ "عثمان نوية" الذى لا يزال من أعز أصدقائى، وكان على صلة صداقة فيها شئ من البنوة بأستاذنا المرحوم "أحمد بك أمين" وعرض على الأستاذ عثمان نوية أن أكتب لمجلة "الثقافة" التى كان يشرف عليها أستاذنا "أحمد بك أمين" فكتبت كلمة عن موقف بينى وبين مدرس اللغة العربية بمدرسة "فاروق الأول الثانوية" ووقعتها بإمضاء "تلميذ قديم".

وذهب بها الأستاذ عثمان نوية إلى أحمد بك أمين فسأله: هل هى لمدرس زميلك؟.. فقال له: لا.. إنها لصديق محام.

وكانه كان يتطلع إلى الغيب، لأننى كنت فى ذلك الحين فى السنة الرابعة الثانوية، وكان عمرى إذ ذاك ١٦ عامًا فقط.

ونشر أحمد بك أمين الكلمة بعد أن أصلح بها بعض العبارات، ثم عرف حقيقة الأمر، فصار ينشر لى دون أن يصحح شيئًا مما أكتبه أبدًا. وظللت أنشر بالثقافة منذ ذلك الحين (عام ١٩٤٣).

وتوالى النشر فى الثقافة والرسالة والمصرى.. ولذلك حين قدمت

كتابى "ابن عمار" إلى دار المعارف، لم أجد صعوبة فى نشره،
وتصادف أن تقرر على طلبة السنة الإعدادية فى نفس العام ولم
تصادفنى بعد ذلك صعوبات فى النشر.

القيم الأدبية:

* ما هى فلسفتك فى الحياة، وما هى القيم التى تؤمن بها، وكيف
ينعكس ذلك على أعمالك الأدبية؟

- إننى أوّمن بالحرية، والأمن الناشئ عن الحرية.. وأرجو أن يجد
النقاد انعكاس هذه الفلسفة على أدبى.

وظيفة الكاتب:

* ما هى وظيفة الكاتب فى رأيك؟

- وظيفة الكاتب أن يقول ما يحب أن يقول فى أجمل قالب فى يمتنع
القارئ، ويجعله يحس أنه يقرأ شيئاً جديراً بالتفكير.

الأشكال الفنية:

* روايتك الرائعة "هارب من الأيام".. التى فازت بجائزة الدولة..
صدرت فى كتاب ومثلت فى الإذاعة وعرضت على شاشة
التلفزيون، وشاشة السينما، وخشبة المسرح.. فما هو أقرب هذه
الأشكال الفنية إلى نفسك، وأقربها على تحقيق ذاتك وفلسفتك؟

- أحب عمل إلىّ قدم عن "هارب من الأيام" هو ما أعدته السيدة
"أمينة الصاوى" كمسرحية مثلتها فرقة الإسكندرية المسرحية.

وعموماً، لا يمكن أن يقدم عمل عن رواية مكتوبة، يستوعب كل
ما جاء فى هذه الرواية.

النكسة:

* إلى أى حد تأثرت أخريات أعمالك بالنكسة؟

- الواقع أننى أكتب، وأترك التفسير للقراء والنقاد.

الأدب العربي والعالمى.

* أعتقد أنك قرأت الكثير من كتب الأدب العربى والعالمى، قديمه وحديثه، فبالى أى مدى أفدت من ذلك؟.. وهل تأثر أدبك - بصورة أو بأخرى - بما قرأت؟

- ليس هناك أديب لم يقرأ أدبه المحلى أولاً، ثم الألب العالمى ثانياً.. وأنا لا أنكر أن ليلة مرت علىّ - منذ كنت فى الثامنة من عمرى حتى الآن - لم أقرأ فيها.

وأنكر أننى كنت فى رأس البر قبل أن تدخلها الكهرباء فكنت أقرأ على ضوء القمر أو أضع بطارية على صدرى، وأقرأ عليها قبل النوم. وفى بلدتنا - غزاة بالشرقية - قبل أن تدخل الكهرباء إلى بيتنا، كنت أقرأ على لمبة جاز، ولا زلت أقرأ عليها حتى الآن، كلما ذهبت إلى البلدة، حتى لا أحمل القائم بشأن ماكينة النور مشقة السهر معى أثناء قراعتى.

وأعتقد أن الأساس الذى يجب أن تقوم عليه ثقافة الأديب هو تراثه أولاً، ثم الآداب الأخرى. وقد أثر على كتابتى كل من قرأت له، من الشرق أو الغرب.

أدب الشباب:

* ما رأيك فى أدب الشباب.. وإن كان البعض يدعى أنك تعادى التيارات الأدبية الجديدة، فما هو ردك على ذلك؟.. وما هو موقفك من قضية الجديد والقديم التى تثار من آن لآخر؟

- الواقع أننى أزعم أننى أتحت للكثرة الكاثرة من شباب هذا الجيل ميدان النشر، حين كنت أعمل بمجلة "القصة".. فأغلبهم بدأ النشر فى هذه المجلة، ولا أعتقد أنهم ينكرون ذلك.

فموقفى الراض هو موقف من نوع الألب الذى انتحوا إليه، وليس منهم هم. وهذا الرفض بسيط لا يحتاج إلى شرح، ولا تعقيد فيه

فأنا أرفض ما لا أفهم.

وأذكر أن أحدهم قال: فلتستعن بمترجم.. وأعددهم أنني حين أجد هذا المترجم، سأقول رأبي في ألبهم بعد أن يشرحه لى هذا المترجم. هذا إذا اقتنعنا أن الأدب المنشور يحتاج إلى مترجم يترجمه إلى نفس لغته التى كتب بها.

ولا أعتقد أن لنا حياة إلا إذا وجد بعدنا من يكتب.. فنحن إلى موت.. ويجب أن يظل الألب حيًا.. ولا يحيا الألب إلا بالجديد. كل ما نرجوه أن يوجد هذا الجديد، وأن يجد من يقرأه، ونحن سنكون فى طليعة المصنفين له، للمفسحين له كل طرق الانتشار والازدهار. فالأدباء يعرفون أنهم مرحلة، إن لم تتصل بمرحلة بعدها، فهى هاوية.. ولا نحب أن نكون هذه الهاوية.

وإننى واثق أن هذا الاتجاه من الألب غير المفهوم سيقضى على نفسه بنفسه. وسيقدم الشباب لنا أدبًا جديدًا مفهومًا، لأنهم من قبل ومن بعد يكتبون لمن يقرأ، فإذا لم يجدوا من يقرأ، فسيحئون عنه. أزمة النشر:

* من الملاحظ أن حياتنا الأبية تكاد تختنق، لضيق فرص النشر أو لعدمها تمامًا، بالرغم من وجود صحفنا اليومية ومجلاتنا الأسبوعية والشهرية، فما هو الحل الذى تراه للخروج من هذه الأزمة؟

- لعل أزمة النشر نابعة من نوع الكتابة الجديدة، التى يتجه إليها الكتاب من الشباب.

مجلات القصة:

* بحكم إشرافك على مجلتى القصة.. ونادى القصة، فى السنوات الماضية.. ما هى أسباب تعثر هاتين المجلتين؟

- فيما يختص بمجلة القصة، فقد أوقفها "الدكتور حاتم" فى وزارته

السابقة، بعد هجوم عنيف من "الدكتور لويس عوض" .. وأستطيع أن أقول وأنا مطمئن إنه كان هجومًا غير موضوعي. أما فيما يتعلق بمجلة نادى القصة، فمشكلتها الأساسية هي المال. وزارة الثقافة والإعلام:

* ألا ترى معي أن وزارة الثقافة والإعلام - في دولتنا الحديثة - من واجبها أن تعتمد ميزانية خاصة، لإصدار مجلة أدبية متخصصة أو أكثر؟.. خاصة وأنها تنفق على السينما - مثلًا - بسخاء، ومثل هذه المجلة أو المجلات مجتمعة لن تكلف ما يوازى ميزانية فيلم واحد.. كل عام.. كما أنه ليس من الضروري أن تريح هذه المجلات.. فوزارة الثقافة والإعلام، من أهم واجباتها نشر الثقافة، ومجلة "المجلة" الشهيرة والوحيدة الموجودة تؤدي واجبها، ولكنها لا تستوعب نتاج كل هذا العدد الكبير من الكتاب.. ما رأيك؟

- أعتقد أن هذا الواجب لا يحتاج إلى تنبيه!

الهيئة العامة للتأليف والنشر:

* الهيئة العامة للتأليف والنشر.. هي الدار الرسمية الوحيدة للنشر في جمهورية مصر العربية، ولكن الاعتقاد السائد أن نشاط هذه الهيئة يكاد يتلخص في تشكيل اللجان وإعداد خطة للنشر كل عام، ولكن هذه الخطة لا ينشر منها إلا الكتب الموصى عليها، أو تلك التي يكون كتابها من الأقارب أو المعارف أو ممن يملكون رد الجميل.. أما باقى الكتب فإتها تؤجل دائماً للعام التالى، ثم العام الذى بعد التالى، بحجة أن الميزانية لا تسمح.. وهكذا.. حتى يصاب أصحابها باليأس ويصرفوا النظر عن أمر نشرها لأنها فى أفضل الأحوال، لن تنشر إلا بمعجزة، وبعد سنوات طويلة، بحيث تصبح غير ممثلة لكتابها وقت صدورها..

كما أن الهيئة لجأت فى السنوات الأخيرة إلى إصدار كتاب واحد مشترك لكل ثلاثة أو خمسة من الأدباء الشبان.. بدعوى التوفير فى النفقات.. ومثل هذا الكتاب طبعًا لا يضم غير عدد قليل جدًا من القصص أو القصائد المقدمة من المؤلفين.. بينما تصدر الهيئة فى نفس الوقت كتبًا كاملة مستقلة لفريق آخر من الشبان فى نفس المستوى. وأكثر من كل ذلك أن مصير منشورات الهيئة هو الإيداع فى المخازن وليس التوزيع كما ينبغى.

فما هو رأيك؟

- أرجو أن يكون فى التنظيمات الحديثة، ما ينفى عن دار النشر المشار إليها، ما يوجه إليها من تهمة.

واعذرني إذا لم أستطع أن أتفق مع من يوجهون هذه التهمة، فأنا لم أخبرها بنفسى، ومن الظلم أن أطلق حكمًا على شيء لا أعرفه.

اتحاد الأدباء:

* نحن ننادى الآن بضرورة تكوين اتحاد عام لأدباء جمهورية مصر العربية، فما هو تصورك لهذا الاتحاد؟

- الواقع أننى لا أستطيع أن أقيم فى ذهنى تصورًا واضحًا لاتحاد الكتاب إلا أن يكون فى شكل نقابة تدافع عن مصالح الكتاب قبل أجهزة الإعلام والنشر.

وداعاً.. أديبنا الكبير ثروت أباظة^(*)

أقصى ما فى الحياة أن يودع الإنسان عزيزاً عليه وداعاً ليس بعده لقاء، ولكن تلك هى إرادة الله وسنته فى خلقه، ويتعين علينا أن نرضى بقضائه ﷻ.

وعزاؤنا أن أديبنا الكبير الراحل - يرحمه الله - سيظل يعيش فى قلوبنا وعقولنا طوال حياتنا، بل أطول كثيراً جداً من حياتنا، فإبداعاته الأبية الرائعة التى تزيد عن أربعين كتاباً، ما بين روايات ومسرحيات وقصص قصيرة وغيرها، سنظل خالدة عبر الزمن تضىء مكتباتنا العربية، وتثرى أفكار أجيال المستقبل، لأنها حقاً أعمال رفيعة قيمة جدية بالعظمة والخلود، ووسائلها ليست للكتب والترجمات والصحف والمجلات وحسب، وإنما الكثير منها سيظل يحيا فى السينما والتلفزيون والإذاعة، ولا أظن أن أحداً يمكنه أن ينسى بسهولة قلم كاتبنا الشامخة مثل: "هارب من الأيام" و"شئ من الخوف" و"ابن عمار" المقررة على أبنائنا الطلاب.. وهذه مجرد أمثلة فقط.

وأدب الراحل الجليل من النوع الواقعى القيمى الهادف، فقد كان صاحب قلم عف شريف، وصاحب رسالة كبرى مقننة، يحرص من خلالها على إعلاء قيم الحق والعدل، وتأكيد المفاهيم الإنسانية والدينية، وبث روح الفن والجمال، وكل ذلك دون أن يحيد يوماً عن أسلوبه الرصين الفصيح الذى أعزّ به لغتنا العربية، ودون أن يجنح إلى العبث واللامعقول أو الإبهام والغموض، لإدراكه الصادق أنه لا

* - نشرت فى مجلة "القصة" فى أبريل ٢٠٠٢.

فائدة ترجى من أدب غير مفهوم للقارئ وربما للكاتب أيضاً على حدّ سواء، وبالتالي فلا حياة له.

ولقد حدثنى ذات مرة حول هذا الموضوع قائلاً:

- أنا أرفض ما لا أفهم!

وفى سخرية أضافت:

- ومن غير المعقول أن أستعين بمتّرجم يترجم لى ذلك الأدب الغامض إلى نفس لغته التى كتب بها!

واستطرد يقول:

- أنا واثق أن هذا الاتجاه من الأدب سيقضى على نفسه بنفسه! وطبعاً كان له الحق فى كل ما قال.

(مجلة البيان الكويتية - فبراير ١٩٧٢)

لقد كان من صفوة مفكرى وكتاب القمة، ولقد أسهم بإنتاجه الشامل المتنوع فى تشكيل وعى ووجدان أجيالنا العربية وتطویر أسس ومعطيات ثقافتنا القومية.

ولا أكون مبالغاً إذا قلت إن الكثيرين من كتابنا اللامعين اليوم قد خرجوا من معطف أستاذنا الكبير ثروت أباطة، فقد كان يستقبل العديدين منهم فى بيته ومكتبه وفى مختلف الهيئات الأدبية والثقافية التى كان يرأسها أو يديرها.. كان يفتح للكتاب الصاعدين أبواب فكره الفياض فينهلون منه، ويأخذ بأيديهم إلى وسائل النشر المختلفة، ويظل يتعهدهم بالرعاية المعنوية إلى أن تشتد أقلامهم وتقوى على الصمود فى بحار الأدب.

إن الحزن ليعصف بى لرحيل أديبنا الكبير الأستاذ ثروت أباطة، ولا شعورياً أجد نفسى وقد هربت إلى نكرياتى معه، وهى نكريات بعيدة ولكنها عزيزة.

فى منتصف الستينيات ودون سابق معرفة، أرسلت له إحدى قصصى القصيرة ومعها سيرتى الذاتية المتواضعة، فكتب إلى فى اهتمام بالغ كما لو كان يعرفنى حق المعرفة، يهنئنى بحصولى على بكالوريوس كلية العلوم بتقدير جيد، ويعمدنى بنشر قصتى واصفا إياها بالجودة، ومعبراً عن سروره الخاص لكونى بلدياته من أبناء الشرقية والزقازيق بالذات.. وفعلاً أوفى بوعده ولكن بعد طول انتظار، برره لى فى رقة متناهية عندما شرفت والتقيت به لأول مرة فى نادى للقصة خلال صيف عام ١٩٦٥، حيث فوجئت بالكاتب الكبير والإنسان العظيم يعتذر لى فى أنب جم وأنا الناشئ المبتدئ يعتذر عن تأخر نشر قصتى لكبر حجمها، مما اضطرهم إلى تصغير البنت وتدبير المساحة التى بلغت عشر صفحات كاملة من المجلة، فنبت خجلاً منه وشكرته كثيراً واعتذرت له بدورى عن طول قصتى، غير أنه قال لى مشجعاً وأظنه مجاملاً: "لا عليك يا أستاذ محمد صفوت، فقصتك جيدة جداً وقد نالت إعجابى واستحقت تقديرى فكان لا بد أن تنشر".

إلى هذه الدرجة كان متواضعاً وهو عظيم وصاحب فضل، فقد كانت تلك هى أول قصة تنشر فى مجلة أدبية متخصصة، رفيعة المستوى وواسعة الانتشار، هى "مجلة القصة" التى كانت تصدر - آنذاك - عن وزارة الثقافة، وإن سبقتها بسنوات قصة لى نشرت فى مجلة إقليمية بالزقازيق، أيام أن كنت طالباً بالتعليم الثانوى.

ومن خلال أستاذيته وانبهارى بشخصيته، نشأ بيننا حرص متبادل على دوام الصلة، فأهدانى جميع كتبه وقد خط لى عليها بقلمه النفيس عبارات طيبة ورقيقة، شعرت أنها أكبر منى فحاولت أن أكون فى مستواها.

وصدرت مجلة "نادى القصة" تحت إشرافه فاعتبرنى من أسرة تحريرها، وبالفعل تعاونت مع سكرتير التحرير - آنذاك - الكاتب والأديب الأستاذ "فخرى فايد" وصرنا أصدقاء.

ولكى أبين مدى حكمة الأستاذ ثروت وعدالته، أقول إنه لكثرة مشاغله استعان بأديب من الجيل السابق لنا ليساعد فى قراءة النصوص وإجازتها للنشر بالمجلة، فاعترض على نشر إحدى قصصى بحجة أنها طويلة وتقليدية، فقلت له: كيف لا تنتشر وهى فائزة بجائزة فى مسابقة نادى القصة؟!.. فقال: الفوز بجائزة فى مسابقة النادى شىء والنشر فى مجلة النادى شىء آخر.. قلت: عجيباً، إن فوزها يعنى أنها حظيت بإعجاب وتقدير ستة أديباء كبار مختلفى المذاهب والاتجاهات، قرأوها وأعطوها درجات مرتفعة تفوقت بها على مئات القصص المتقدمة للمسابقة، ومنصوص على أن مكافأة الفوز ليست الجائزة المادية فقط، وإنما النشر أيضاً.. فإذا به يقول فى تعنت: كل ذلك لن يغير من رأى!

قلت له: ألم تعلم أن قصتى التى نشرت مؤخراً فى هذه المجلة نفسها، قبيل توليك المسئولية، لقيت استحسان كل من قرأها لدرجة أن الكاتب الكبير الأستاذ "جليل البندارى" خصص بروازه المشهور "أنا والنجوم" فى جريدة "الأخبار" للإشادة بها هى بالذات دون غيرها من قصص المجلة، رغم عدم وجود أى معرفة شخصية بيننا؟ قال: بلى، قرأت وعلمت، ولكننى لن أترشح عن موقى!

واختلفنا فاحتكمنا إلى الأستاذ ثروت، فاحتوى الموقف وخاطببنى قائلاً: قابلنى غداً ومعك قصة أخرى على سبيل الاحتياط.. ولما كان الغد، جلست إلى جواره وهو يقود سيارته، وكانت شوارع القاهرة هادئة فى تلك السنوات البعيدة، فطلب منى أن أقرأ له قصتى التى معى، وفعلت، فأبدى إعجابه بها وقال فى تلقائية صادقة: ننشر قصتك هذه أولاً، فى عدد المجلة القادم، أما قصتك الفائزة فسوف تنتشر إن عاجلاً أو آجلاً حسب شروط المسابقة وبذلك تكون قد نشرت قصيتك هاتين كما ينبغى، واختلف الرأى لا يفسد للود قضية.

وهكذا حل الإشكال بحكمته البالغة وأرضاني وأرضى نائبه فى الوقت نفسه.

وأذكر أننى التقيت به مصادفة فى مصعد جريدة "الجمهورية"، وبعد تبادل التحية سألتى بعفوية: ماذا تفعل هنا؟.. فقلت: جئت أقدم إحدى قصصى للنشر فى جريدة للجمهورية.. فقال: أتعرف أحدًا من المسئولين هنا؟.. قلت: لا.. فقال: إذن، تعال معى.. ويومها قدمنى إلى مدير التحرير الأستاذ "مدوح رضا".. وهكذا كان مفضالا ومحبا للغير.

وكثيرا ما كان يعمد إلى خلق جو أشمل من الألفة والترابط بيننا، فيتبسط معى قائلا: إن رقم الأحاد فى سنتى ميلادك وميلادى هو نفسه. فأرد عليه بقولى: وهذا يشرفنى طبعًا، ولكن مع فارق عشر سنوات.. ويداعبنى بقوله: وزوجتك وزوجتى لهما نفس الاسم.. فأبتسم قائلا: وهذا أيضًا يشرف زوجتى ويشرفنى.. وغير ذلك الكثير مما يدل على أن أستاذنا العظيم كان متواضعا إلى حد كبير، وهذا ليس سرا، ولكنه من أسباب عظمته..

كنت أسعد بلقائه فى المنتديات الأدبية والثقافية، وشرفت بزيارته مرة واحدة فى بيته للاطمئنان عليه إثر وعكة صحية ألمت به.. واغتربت لدواعى العمل فتغيبت عنه ربع قرن من الزمان، ولكن القدر كان رحيمًا بى ولم ينسى الأستاذ، فبمجرد عودتى إلى أرض الوطن دعانى لزيارته فى مجلس الشورى وهناك رأيت كالعهد به وقورا ومهيبا، تحيط به كاميرات التلفزيون ليضىء الشاشة الصغيرة بطلعته المشرقة، ويثرى العقول بما يقول.. وأصحاب المصالح والحوائج ينتظرون أن يشملهم بعطفه ورعايته، وهو نفسه يتعجل أن يتفرغ لإجابة مطالبهم الإنسانية.

إن القلم ليختنق، ولا مفر من التماس العزاء، والتركيز فيما نعتقه من أن إبداع أنبينا الكبير سيظل حيا وخالداً يمتع الملايين بعد الملايين من قرّائه ومحبيه.

بعد مرور عام على وفاته

وداعاً أمين يوسف غراب! (*)

- * ولد أمين يوسف غراب عام ١٩١١ فى قرية محلة مالك. مركز دسوق. محافظة كفر الشيخ.
- * توفى فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٧٠.
- * "الضباب" هى أولى مجموعاته القصصية، وقد صدرت فى مايو سنة ١٩٤٢.
- * بلغ عدد مؤلفاته ٢٥ كتاباً.. تضم أكثر من ٢٠٠ قصة قصيرة، ٦ روايات ومسرحيات.
- * كتب للسينما المصرية حوالى ٢٧ فيلماً.
- * ترجمت بعض قصصه إلى اللغات.. الإنجليزية، والفرنسية والألمانية.
- * كان رئيساً لقسم التحرير والنشر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب.. وعضواً بلجنة القصة وعضواً بجمعية الأدباء.. وعضواً بنادى القصة.
- * حصل على جائزة الدولة فى القصة القصيرة.
- * من بين مؤلفاته:
أرض الخطايا.. آثار على الشفاه.. امرأة غير مفهومة.. يحدث فى الليل فقط.. وهى مجموعات قصصية.

*- نشرت فى مجلة تلدى للقصة فى أبريل ١٩٧١، وفى مجلة "البيان" الكويتية فى يناير ١٩٧٢.

سنوات الحب.. الأبواب المغلقة.. شقة في الجزيرة.. الساعة تدق العاشرة.. وهي روايات ومسرحيات.

* آخر أعماله.. رواية طويلة، كتب نصفها فقط، ولم يمهل الموت الغادر حتى يتمها!

نحن نعلم جيدًا أن الموت حق، وأنه مصيرنا، ومصير كل حي في هذه الدنيا.. فتلك إرادة الله، وسنة الحياة.

ولكننا، وبالرغم من إيماننا العميق بهذه الحقيقة الأزلية، لا نملك إلا أن ندع قلوبنا تحزن، وعيوننا تبكي، كلما فقدنا عزيزًا علينا.. فالموت فراق ليس بعده لقاء.

ومنذ عام بالضبط، فُجع أديب القاهرة، والعالم العربي، وجمهور القراء، بوفاة الأديب الكبير أمين يوسف غراب.

وحزنت القلوب، وبكت العيون.. فالأستاذ أمين يوسف غراب - رحمه الله - كان إنسانًا كبيرًا، وفنانًا أصيلاً، وأديبًا مبدعًا..

ولقد أثرى المكتبة العربية، خلال الثلاثين عامًا الماضية، بخمسة وعشرين مؤلفًا في القصة القصيرة، والرواية، والمسرحية.. وله فضل لا ينسى على السينما المصرية، إذ كتب لها الكثير من قصص الأفلام، والسيناريو والحوار.

ولقد اهتمت به الدولة، وقدرت أعماله الأدبية والفنية، فكرمته ومنحته جائزة الدولة التشجيعية في القصة القصيرة، عن مجموعته القصصية "أشياء لا تشتري".

كذلك حظى بحب عميد الأديب العربي الدكتور طه حسين، فأثره على غيره من أبناء جيله، وقدمه للقراء، في مستهل حياته الأدبية، وكتب عنه دراسة مطولة في جريدة الأهرام، قال فيها:

إن أمين يوسف غراب لا يقل براعة ومقدرة في ميدان القصة العربية الحديثة، عن زميله الأديب الفرنسي "جى. دى. موباسان".

وهو قول له قيمته حين يصدر عن عميد الأدب العربي.. وتزداد قيمته
لذا علمنا أن الدكتور طه حسين نادراً ما يكتب عن أحد.. ذلك فضلاً عما
تضمنته الدراسة من تقييم منصف للمزايا الفنية، عند أديبنا الراحل..

ومن أنجح المسرحيات التي كتبها الفنان أمين يوسف غراب..
مسرحية "ست البنات" وقد افتتحت بها دار الأوبرا المصرية موسمها
المسرحي لعام ١٩٥٣. فنجحت نجاحاً منقطع النظير، وأشادت بها
الصحف المصرية - آنذاك - واعتبرها النقاد أروع مسرحية كوميدية
قدمت للمسرح بعد وفاة نجيب الريحاني.

وكذلك كان من أنجح الأفلام التي قدمها للسينما المصرية فيلم
"شباب امرأة"، وبالرغم من مضي سنوات طويلة على تاريخ عرضه
لأول مرة، فإن الكتاب كثيراً ما يذكرونه عندما يكتبون عن السينما.
ولعل أعظم قصة عاشها أمين يوسف غراب، ولم يكتبها، أو كتبها
ولم ينشرها.. هي قصة حياته.. ويا لها من حياة حافلة بالصراع
والآلم، والكفاح والعرق..

والأستاذ أمين يوسف غراب، لم يكن يحمل شهادات دراسية، ولكنه
أدرك - وهو في سن مبكرة - أهمية العلم والثقافة بالنسبة لحياته
كإنسان، فدأب على تعليم نفسه وتثقيفها، في جلد ومثابرة، حتى أصبح
أكثر من متعلم، وأكثر من مثقف.. وما لبث أن خلق من نفسه ذلك
الأديب الناجح، الذي انتشر أعبه، وذاع اسمه، وهو لا يزال في قرينه،
بأعماق الريف المصري.. وهذا سر من أسرار كفاحه وعظمته.

كان الفتى أمين يوسف غراب، يعمل موظفاً صغيراً جداً في
أرشيف بلدية دمنهور، ثم حدثت نقطة التحول في حياته عندما غضب
عليه رئيسه في العمل، وأراد أن يعاقبه، فأمر بنقله إلى مكتبة البلدية..
ففي المكتبة، تهيأت له أسباب العلم والمعرفة، واكتشف بذرة الأديب
في داخله، فاستمر يتعهدا وبيروها، حتى تفتحت وأثمرت..

ومن قلب الريف، أخذ يبعث بقصصه القصيرة إلى صحف القاهرة، فحظى بعضها بالنشر..

وبدأ الأديب الناشئ، والقروى الفقير، يحلم بالشهرة والمجد. وبنكائه اللماح، أيقن أن أحلامه لن تتحقق إلا إذا انتقل إلى القاهرة.. مدينة الأضواء.. والآمال.. وبإصراره المتوثب، وإرادته الصلبة.. كان له ما أراد..

وفى القاهرة، شغل وظيفة كاتب بسيط فى مطابع السكة الحديد، ثم قاده طموحه ليعمل سكرتيراً لوكيل وزارة المواصلات. بيد أنه - كفتان - ما لبث أن ضاق بجمود الروتين الوظيفى، وكان قد أصبح أدنياً شاباً، يلمع اسمه فى الصحف والمجلات، فتيسرت أمامه السبل، وعين رئيساً لقسم التحرير والنشر، بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.. ومن خلال هذا المنصب الأدبى، استطاع أن يتوافق مع نفسه، وأن يحقق ذاته كأديب وفنان.. فانتشرت مؤلفاته بين أيدي جمهور القراء على نطاق واسع، واتخذت أعماله طريقها إلى السينما والمسرح والإذاعة.. ثم التليفزيون، واكتسب الشهرة والمجد.

ولقد تأثر أمين يوسف غراب بنشأته فى القرية إلى حد كبير، فاتجه بالكثير من أعماله إلى الريف المصرى، يصور حياة الفلاحين كواحد منهم، ويعبر عن مشاكلهم الاجتماعية والعاطفية وكأنه قد عاشها بنفسه.. كذلك برع فى تصوير البؤس والحرمان، وعرف بأدبه الصريح عن المرأة، ومقدرته الفائقة على التغلغل فى أعماقها، وتحليل نفسياتها ومشاعرها تحليلًا دقيقًا.

وفى مجال الحب والجنس، كان يستخدم لغة جريئة موحية، تميز بها بين أبناء جيله، وكان يؤمن باستحالة وجود حد فاصل بين الحب والجنس، فهما فى رأيه وجهان لعملة واحدة..

ولقد اتهمه البعض، دون وجه حق، بأنه يستخدم لغة مكشوفة، يوظفها عمدًا في تصوير المواقف العاطفية، والمشاهد الجنسية، تصويرًا يهدف للتعرية والإثارة.

ولكنه - رحمه الله - كان صادقًا مع نفسه وفنه، مخلصًا للنماذج البشرية التي يتعامل معها، والتجارب الإنسانية التي يعبر عنها.. فكان لا بد له من لغة شفافة، تكون هي وحدها القادرة على خدمة رؤيته للفنية.. وهو لم يكن يطرق أبواب الحب والجنس لذاتها، وإنما لينفذ منها إلى أعماق النفوس البشرية، ويستخلص لنا أسرار الإنسان والحياة.. ولماذا نغالط أنفسنا؟!.. أليس الجنس هو الحقيقة الأولى في الحياة، ومن أجله خرج أبونا آدم، وأما حواء من الجنة؟!.. وفي القرن العشرين.. أليس من الطبيعي أن يستخدم الرجل والمرأة، الحب والجنس، كوجهين لعملية واحدة؟!.. هذا هو ما نراه فعلا.

· وجدير بالذكر أن الأستاذ أمين يوسف غراب، قد أمضى سنوات طويلة من حياته الأدبية، في كتابة القصة القصيرة وحدها، وقد يكون ذلك تلبية منه لدواعي السرعة في الإنتاج والنشر، أو انشغالا منه بمشاكل حياته اليومية.. على أنه ما لبث أن اتجه - في الخمسينيات - إلى معالجة المسرحية، والرواية الطويلة. والفيلم السينمائي..

وإن الدمع ليتقل عيني إذ أتذكر حفاوته بي حين كنت أزوره في بيته (بمصر الجديدة) أو في مكتبه (بالزمالك) كان كريماً.. مرحاً.. صافى القلب.. لا يكتم في نفسه شعوراً ما، فسريعاً ما يغضب وسريعاً ما يبتسم.

وتتساب دموعي، وأنا أقرأ كلماته الرقيقة، التي كتبها لي بخط يده، في بداية صلتى به، وهي صلة أدبية بطبيعة الحال.

وقد بلغ به عشقه للأدب حدًا جعله يسعى لبث الموهبة الأدبية في وجدان نجله إبراهيم، لدرجة أنه كان يفرض عليه أن يقرأ كتبًا معينة،

يختارها له بنفسه، ليعود ويناقشه فيها.. وها هو العزيز إبراهيم يوشك أن يتخرج في معهد السينما.. وبين السينما والأدب صلة وثيقة.

ويجزع القلب لمرض الأب أمين يوسف غراب، ورقاده المستسلم، على السرير الأبيض بمستشفى عانوس بالعجوزة.. ولكن العقل لا يتصور أن نزلة البرد التي ألمت به، يمكن أن ينتج عنها ذلك النزيف القاسي، الذي أودى بحياته!!

وفجعنا برحيل أستاذنا، وانتقاله إلى جوار ربه في الساعة السابعة من مساء الأحد ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٧٠.

وبالرغم من أنه قد أفنى عمره في خدمة الفن والأدب، وترك لنا ثروة أدبية ضخمة.. إلا أنه لم يترك لأسرته شيئاً!!

إنها النهاية، ولا مفر، وعلينا أن نودعه وإن تمزقت قلوبنا.. فوداعاً.. أمين يوسف غراب!

محمد صدقى .. و.. شرح فى جدار الخوف^(٢)

"شرح فى جدار الخوف" هى ثالث مجموعة قصصية نقرأها للأديب "محمد صدقى" من بعد مجموعتيه السابقتين "الأنفار" و"الأيدى الخشنة".

ومحمد صدقى كاتب عصامى، نشأ فى أسرة فقيرة بدمهور، واشتغل صبيًا ثم عاملاً فى حرف يدوية عديدة، ثم تدرج حتى عمل كاتبًا بمجلات "شمال" فى القاهرة.

وبينما هو يتقلب فى تلك الوظائف الصغيرة، كان يبذل جهدًا مشرفًا فى تعليم نفسه وتنقيفها، وأخيرًا تمكن من احتراف الكتابة فى الصحف والمجلات.

"ابن سامة القمر" هى أول قصص المجموعة، وفيها نلتقى بالزوجة الريفية "نعناع"، وهى تعيش فى فرحة قلق، إذ خيل إليها أنها سمعت صوت "سى محسن" وظنت أنه قائم لزيارتها.

ونعلم أنها تحب محسن، منذ أن كانت فتاة تعمل فى خدمته، لكنها تخشاه، لأنه يحبها فى جراءة غير عادية، الأمر الذى يجعلها فى خوف دائم من أن يغتصب منها أعز ما تملك. وهى تعلم مقدمًا أنه لن يتزوجها - فهو ابن "البية" وهى ابنة "العفير" عند "البية" - فقط هو يريد أن يتزوج من الرجل الذى يختاره لها، ضمانًا لاستمرار مصالحه العاطفية معها.. ومع ذلك لا تملك نفسها من أن تحبه. وهى بعد أن تزوجت من "علوان" أثناء غياب حبيبها فى الدراسة، تخاف من بطشه حين يعود.

*- نشرت فى مجلة "نادى القصة" فى أغسطس ١٩٦٨.

وبينما هي قلقة، تتحسس الجنين الذى فى بطنها، وتتظار عودة حبيبها، نجد أن حماتها تعاني قلًا آخر.. فالبقرة حامل، وموعد ولادتها يحين بين لحظة وأخرى، وهذا شيء له أهمية كبرى فى حياة الأسرة الريفية.

نجح محمد صدقى فى تصوير هذا المعنى، كما نجح فى الربط بين نعناعة الحامل، والبقرة الحامل، واعتبارها فردًا من أفراد العائلة. وهذا ما نجده مألوفًا فى ريفنا.

ومما يؤخذ على المؤلف، أنه قد استغرق نصف القصة فى وصف هذا الحدث وحده، على طريقة التصوير السينمائى البطيء، لدرجة أننى لم أستطع أن ألقى من ذهنى منظره وهو يقف فى "الزريبة" ليُشاهد لنا هذه التجربة. ولكن مقدرة الكاتب على الغوص فى نفوس شخصياته، وتحليل ما يعتمل فى داخلها من المشاعر والانفعالات، قد عوضنا بعض الشيء، عن الملل الذى شعرنا به نتيجة لتناقل الحركة فى القصة.

ونقرأ قصة "لحظة حب" فنتبين أننا قرأناها من قبل بعنوان "ضفيران" وهى ذات مضمون بسيط، يعبر عن الصراع بين القديم والجديد.

ونفس البساطة نجدها فى قصة "حجر على سطح بحيرة" التى تقدم لنا الثرى "عزيز بيه" وهو فى حالة سأم وملل، مبعثها الفراغ الذى يهيمن على حياته الجوفاء. وتأتى المقادير بطفل من جامعى أعقاب السجائر، يراه عزيز فينادى عليه، ويوشك أن يجزل له العطاء، ليُشعر فيما بينه وبين نفسه بأنه قد أدى عملاً ذات قيمة، ولكن الطفل يجرى وراء طفل آخر، ولا يتمكن عزيز من اللحاق به، وإنما يلتقى بأحد أصدقائه، فينشغل معه بالحديث عن القمار والجنس، وينسى الطفل تمامًا.

وقصة "الشاي بالحليب" يرويهما القاص بطريقة ضمير المتكلم، ويمهد لها بمقدمة إنشائية، كنت أفضل أن يتجاوزها ويدخل بنا فى

قلب الأحداث مباشرة.

وفي القصة نتعرف على "رشدى" الذى كان غائبًا عن أهله وقريته لسنوات طويلة، نراه وقد حضر لزيارة والدته، بعد أن فصل من عمله الجديد، بسبب "السابقة الأولى" لكنه يخفى ذلك عن والدته، وفي بساطة شديدة، يعتذر لها عن عدم تمكنه من حضور وفاة والده..

وتطلب الأم من رشدى أن يزور ابنة عمه "فوزية" ليشكرها على ما قامت به من خدمات لوالده أثناء مرضه.

ونعلم أن فوزية ورشدى كانا يتبادلان الحب فى الزمن الماضى، لكن رشدى تمرد عليها، وفسخ الخطبة لرغبته فى الزواج من فتاة تماثلته فى ثوريته، ورغبته فى تحطيم الظلم بكل صورته.. وهنا ندرك أن رشدى يمارس نشاطًا سياسيًا غامضًا، ربما كان له دخل فى تعثر حياته.

ونتعاطف مع فوزية، ونقدر قيمة ما بذلته من التضحيات لأسرة عمها، حين نعلم أن فقرها المدقع جعلها تستعير ثوبًا من جاريتها لتستقبل به رشدى.

ويندم رشدى لتخليه عن الإنسانية التى أحبته بإخلاص، ويتهم نفسه بالأنانية، خاصة وأنه لم يجد الزوجة التى كان يحلم بها.. وتنتهى القصة بأن يطلب من فوزية أن تزوره فى الغد، ليراها قبل أن يسافر، فتعده بأن تستأذن من زوجها وتفعل.

وقد وفق الكاتب تمامًا فى تصوير الأبعاد النفسية والاجتماعية لشخصية فوزية.

ونصل إلى القصة التى تحمل المجموعة اسمها "شرخ فى جدار الخوف" فنتألم من أجل "مروان" الذى حُكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عامًا، فى جريمة قتل لم يرتكبها، وإنما العمدة هو الذى ألصق به التهمة زورًا، لكى يعفى نفسه من المسؤولية أمام الجهات العليا.

ويخرج مروان من السجن متسبهاً بالمجرمين، فيخافه أهل القرية، وينشئون حوله الكثير من البطولات الزائفة، ويحرصون على انقضاء شره، فيقدمون له المنح والقرابين، ويتمادى هو فيفرض عليهم الإتاوات، وأخيراً يواجه مروان بامتحان عسير، فثمة نئب متوحش يهاجم القرية، ويثير الرعب فى قلوب الأهالى، فيلجأون إلى بطلهم مروان، لكنه يفشل فى القضاء على الذئب، فتسقط عنه البطولة، ويكتسبها "سعداوى" الذى قتل الذئب.

وهذه هى أجود قصص المجموعة العشر، من حيث للمضمون والبناء. وبصفة عامة نلاحظ أن محمد صدقى يتخذ من ريف منهور مسرحاً لأحداث بعض قصصه، كما أن معظم أبطاله من العمال والفلاحين الكادحين، وهذا يتفق مع ما سبق أن قدمنا من حياة الكاتب. كما نلاحظ إصرار محمد صدقى على إدارة الحوار بالعامية، فتتضح براعته فى ذلك، ولكنه ينساق ويستعمل الكثير من العبارات والألفاظ الدارجة فى السرد القصصى مثل:

الزريبة، وبحراية الدار، وضبة الباب، ويقدره قادر.. وهذه الطريقة - المسرقة فى الواقعية - تجعله ينجح فى تصوير الجو العام للقصّة، إذ تكسبها صدق الواقع، وحرارة الحياة، ولكنها تؤثر عليها من الناحية الفنية، وتدمغها بالطابع المحلى البحت، رغم ما تحمله من أفكار إنسانية لا تحدها حدود.

مصطفى عبد الوهاب.. و.. "دبوس فى الرأس" (*)

مصطفى عبد الوهاب قاص وناقد من جيلنا، جيل الستينيات، يكتب القصة القصيرة والنقد الفنى، وله نشاط ملحوظ وحضور دائم، فى أكثر من صحيفة ومجلة، كما أنه عضو فعال فى نادى القصة واتحاد الكتاب، وفى أكثر من جماعة أدبية وفنية، وله اهتمام خاص بالفن السينمائى، وسبق له الفوز بجائزة نادى القصة عام ١٩٦٧.

وقد صدرت له المجموعات القصصية: "أحزان عبد الجليل أفندى" ١٩٨٠، و"أول مرة" للأطفال ١٩٩٧، ثم "دبوس فى الرأس" ١٩٩٩، التى نحن بصدها الآن، وقد كتبت قصصها فى النصف الثانى من عقد التسعينيات، ونشر معظمها فى الصحف والمجلات، قبل أن تصدر عن "جماعة الجيل الجديد الفكرية" التى يرأس تحريرها الشاعر المعروف، والصحفى النشط "حزین عمر"، وكاتبنا أحد مؤسسى الجماعة، وعضو مجلس تحرير مطبوعاتها، رفیعة المستوى.

أما كتابه دبوس فى الرأس، فيضم ست عشرة قصة قصيرة، ويقع فيما يزيد عن مائة وعشرين صفحة من القطع المتوسط، جيد الورق والطباعة، ولوحة غلافه الأنيق بريشة الفنان الكبير "حسين بيكار"، وتصوير "د. صبحى الشارونى".

ومن قراءتنا لقصص المجموعة، التى بين أيدينا، نلمس أن كاتبنا موهوب ومتميز، يمتلك أدواته الأدبية والفنية، يختار لنا من تجاربه الإنسانية، ونماذج البشرية، ما يمتعنا به حقاً، من خلال أسلوب سلس

* - نشرت فى جريدة "الحياة" فى ٢٠ مارس ٢٠٠٥.

ومتناغم، وبناء فنى محكم ومتماسك وقصصه تطف عن مضامينها الغنية بالقيم والمعاني، دون تقرير أو افتعال، وتبوح بما يود أن يقوله تلميحا وليس تصريحاً.

ومجمل القول أن كتاباته تتميز بوضوح للرؤية، وصدق للمحتوى، وبساطة التناول، لذلك يكتشف قارئه أنه قريب منه جداً، بل وقد يجد نفسه أو بعض نفسه فيما يقرأ.

ونستعرض معاً بعض قصص المجموعة، فنجد أن قصته "رؤية الرؤية"، من خلال ما يشبه التجريد، تحاول للتأكيد على وجود علاقة حميمة بين فنون الألب والرسم والموسيقى، فحن للكتب مثلاً، تصور المعانى والأشياء بالكلمات، وتلك المعانى والأشياء نفسها بصورها الرسام بريشته بالألوان والظلال، ثم يأتى للموسيقى أيضاً، فيعبر عنها بالأغنام والأحان.. فلا شك إذن، أن هناك علاقة فنية وثيقة، تربط بين ألوان الطيف السبعة وعدد الدرجات للسبع للسلام للموسيقى.

فكرة طريفة، جديرة بالاهتمام، يقدمها لنا أدينا للغان، ومن بين ثنائياها، وفي تلاحم شديد معها، يتعرض لقضية النشر فى الصفحات الأدبية بالصحف والمجلات، تلك التى تكون رغم قناتها، محجوزة دائماً لأصحاب الحظوة المقربين، من أفراد شلة للمشرف على الصفحة، والمعارف والمحاسيب، ومن يمكن تبادل للمصالح معهم، ولترتع فيها الأقلام الحاقدة، التى تمتلئ قلوب أصحابها بالأنانية والغيرة، والمصوبية نحو المبدعين للشبان.. كل ذلك فى سياق يبدو طبيعياً جداً، لأن راوى القصة أديب شاب، يعانى من أزمة للنشر، ويخشى على نفسه من التوقع والاندثار إلى الأبد.

وحتى تستقيم للدراسة، نمضى إلى القصة التى تحمل عنوان المجموعة، قبل أن نتفد للمصاحبة المتاحة.

تشدنا قصة "نبوس فى الرأس" بما فيها من حوار وجدل، وقكاهة وسخرية، رغم جدية موضوعها وأهميتها، بل وقسميتها، فهى تتلصق

جانبا من معتقداتنا الدينية، التي يفهمها البعض ويطبونها على نحو خاطئ ومرتمة، لتمسكهم بالشكل الظاهري، دون تعمق في المضمون الجوهرى.

فمن خلال أسلوب شيق وأحداث جذابة، تميل إلى الفانتازيا، ونكتيك فى يمزج الحقيقة بالحلم، والواقع بالخيال، يدور الصراع بين زوجة متسلطة وزوجها المسالم، حول الحجاب والنقاب.

فهو يرى أنها تعقم التعاليم الدينية، بشكل محدود ومسطح، ورغم سعادته الحقيقية بها حين اهتكت وتحشمت بالحجاب، إلا أنه كاد يفقد صوابه حين وجدها، تتجاوز حدود المعقول، وتصر على أن ترتدى ابنتها النقاب، مع أنها طفلة صغيرة، لم تتجاوز الثامنة من عمرها، ولكن أمها خفت طفولتها البريئة أمام عينيه، وسجنتها فى تلك الخيمة السوداء، المسماة "النقاب"، فهل تستطيع طفلة الصغيرة، "عبير الزهور"، ولاحظوا رقة اسمها وجماله، وقد تحولت بكل أسف إلى كتلة من السواد، هل تستطيع وهى مقيدة هكذا، أن تجرى وتتقافز، وتلعب الحجلة وتط الحبل، مع قريناتها من البنات الصغار، زهرات الحياة؟!!

يتميز الزوج غيظاً وغضباً، خاصة وأن تلك المهزلة القاسية التى تعيشها ابنته الصغيرة، تمت بإيعاز من خالها الأقل من نصف متعلم، الذى يعيش معهم فى البيت، وهو متطرف فيما يبدو، ولم البنت تغيب الأب أكثر وأكثر، قاتلة له إن "الخال والد"!

ليس هذا فحسب، وإنما هى تصمم أيضاً على سحب أوراق ابنتها من المدرسة، حيث لا ضرورة فى رأيها لتعليم البنت، وما قد ينبج عنه من تبرج وفسق، ثم هى لو تعلمت فأى مهنة شريفة تنتظرها مستقبلا، راقصة فى شارع الهرم مثلا؟!!

يتغلغل الخال فى شئون الأسرة، فيحرم عليهم مشاهدة التلفزيون، ويملا البيت بالكتب التى تتحدث عن عذاب القبر، وأهوال يوم القيامة وما شابه.

ويمكن القول أن شخصية الخال توازي شخصية الأم، لذلك كان من الممكن الاستغناء عنه، دون أن تختل القصة، وإنما كانت ستصبح أكثر كثيفاً وتركيزاً، وتمثيلاً مع طبيعة القصة القصيرة، حيث كان يمكن للألم أن تملأ ما ينشأ عن غياب الخال من فضاء فى القصة. ولكن يبدو أن المؤلف أوجده كقوة ومبرر لتصرفات الأم، ولتوقيع مزيد من القهر على الأب، وعلى كل حال، فوجوده لم يقلل من روعة القصة، ولعله أثارها، من وجهة نظر أخرى.

المهم أن الزوج المقهور، يظل مغلوباً على أمره، ولا يجد حلاً لمشكلته إلا فى الأحلام، حيث يرى زوجته مستأقبة على السور العلوى للبيت، فيتمنى مسروراً، أن تكون مقبلة على الانتحار، ولو على سبيل العند معه، رغم كرهه للانتحار لما فيه من حرمانية، وخشيته من توجيه الاتهام إليه، بيد أنها تخيب ظنه ولا تنتحر، فيضطر هو إلى أن يحاول إنهاء حياتها بنفسه، ولكنه لا يفلح!

وفى قصة "التحقيق"، نعيش مع شاب صحفى تحت التمرين كلفه رئيس التحرير بإجراء تحقيق صحفى، إذا وفق فيه، سوف يتم تعيينه بالجريدة الحزبية.

ترافقه زميلته المصورة بالكاميرا، وينجح التحقيق فى أن يعبر بالكلية والصورة عن واقع مأساوى، لأسرة فقيرة، مكونة من عشرة أفراد، يعيشون جميعاً فى شقة ضيقة، مكونة من غرفة واحدة صغيرة، وصالة أصغر منها، تلك الأسرة التى لا تملك قوت يومها، عجزت عن تحديد النسل، لعدم قدرتها على دفع ثمن حبوب منع الحمل.

وقد ركز الكاتب على وصف المكان، كعنصر أساسى فى النص، وكشاهد حى على مدى بؤس تلك الأسرة.

وفى براعة فنية يتطرق الحوار إلى السياسة والأحزاب، والاستعمار والحرب، وأمريكا وإسرائيل، والغلاء والبطالة، ورجال الأعمال النين يأخذون القروض ويهربون بها، والقوانين التى لا تطبق، و..

ويأتى التحقيق معبراً تماماً، وبكل صدق وصراحة، عن الواقع
المر المعاش، غير أن رئيس التحرير يقع في حيرة شديدة، ويجبن
ويمتنع عن نشره، خوفاً من العواقب!

وحتى لا أطيل أكثر من ذلك، أوجز فأقول: إن أديبنا الأستاذ
مصطفى عبد الوهاب، نجح في أن يقدم مجموعته القصصية "ديوس
في الرأس"، لتكون إضافة حقيقية، لمكتبتنا العربية.

عبد الرحمن شلش..

وداعاً.. أعز الأصدقاء! (*)

يعلم الله أنني أجد صعوبة شديدة جداً في أن أرثي الصديق الفاضل الكاتب الكبير الأستاذ عبد الرحمن شلش، الأديب والناقد الذي كان معنا في نادي القصة، قبل رحيله بيومين اثنين فقط!

كان معنا، يرانا ونراه، يبتسم لنا ونبتسم له، يتحدث إلينا فنستمع له، وتحدث إليه فيستمع لنا، ثم فجأة، لم يعد أى شيء من ذلك ممكناً، ولم يعد بوسعنا سوى الصلاة على جثمانه الطاهر فى المسجد، والدعاء له بأن يسكنه الله فسيح جناته!

كان كالعهد به شعلة من الحماس والنشاط، ونموذجاً للخير والنقاء، يدير آخر ندوة حضرها بأستاذيته المعروفة، ومحبه الصادقة للأدب والأدباء، وحسن تقديره لجمهور الحاضرين، وترحيبه بهم.

وباغتنه أزمة صحية طارئة، توجسنا منها خيفة لفرط إعزازنا له، بيد أنها ما لبثت أن زالت عنه بفضل الله، بعد تناوله حبه دواء كانت معه، فعاد لنا اطمئناننا عليه، ولكن يبدو أنه أخفى بعض متاعبه وآلامه، حرصاً منه بمشاعره الرقيقة، على عدم تكدير صفو مشاعرنا المحبة له.

فى اليوم التالى، أى السابق رحيله مباشرة، اتصل تليفونياً على غير توقع، بصديقنا المشترك الأديب عصام الصاوى، الذى ذكر لى

* - نشرت فى جريدة "الحياة" فى ٥ مايو ٢٠٠٢.

منددهشا ان الاتصال استمر حوالى ساعة كاملة، فقلت له:

"لعلها شفافية الروح عند صديقنا الحبيب، جعلته يودع بعض أحبائه قبل رحيله!".

وفى يوم الرحيل نفسه، اتصل على غير توقع أيضاً، بصديقنا المشترك الناقد أحمد عبد الرازق أبو العلا، الذى أبلغنى أنه بعد انتهاء المكالمة بنصف ساعة فقط، تذكر أمرًا يجب أن يقوله للأستاذ عبد الرحمن، فطلبه، ولكنه فوجئ بمن يرد عليه قائلاً:

"لقد توفى عبد الرحمن!". .. "البقاء لله!"

ولقد قدر لى أن أحظى بصداقة الأخوين: على وعبد الرحمن شلش، ولكن لمدة سنوات قليلة بالنسبة لكل منهما، لدرجة أننى اليوم أحسب أن ذكرياتى معهما، كانت من قبيل الأحلام الجميلة، التى تمر بالإنسان فتسعه بعضاً من الوقت، ثم تنتهى ولا تتكرر!

فى النصف الثانى من الستينيات تعرفت إلى الأستاذ على شلش، فى دار الأدباء، وجمعت بيننا الندوات الأدبية بانتظام، وكان وقتها يحضر للدكتوراه، وفى أواخر عام ١٩٧٢ ودعته عند سفرى الطويل للكويت، وأعتقد أنه سافر بعد ذلك فى بعثة دراسية للخارج عاد منها بالدكتوراه، ولكننى ظلت محتفظاً به على الدوام فى وجدائى وذكرياتى، وحين ودعته لم أكن أدري طبعاً أنه الوداع الأخير بينى وبينه، فقد رحل رحمه الله وأنا خارج مصر!

وفى أواخر عام ١٩٩٧، بعد غياب ربع قرن من الزمان، عدت لأجد العوض فى أخيه الأستاذ عبد الرحمن شلش، ولو أن كلا منهما لا يمكن تعويضه!

تعرفت إليه فى نادى القصة، فخيل إلى أننى أعرفه منذ الزمن القديم زمن أخيه الجميل، فقد وجدت فيه كل المزايا النبيلة والصفات الحميدة التى أحببتها فى أخيه الأكبر، وكأن أحدهما توأم للآخر،

وبالفعل كثيراً ما كنت أنادى الأخ باسم أخيه، ثم أستدرك وأصحح.

وطبعاً، اعترى بي الأستاذ عبد الرحمن أكثر وأكثر عندما علم أنني كنت من قبل صديقاً لأخيه الراحل الدكتور على.

بعد التعارف بأيام قليلة، قرأ الصديق العزيز الأستاذ عبدالرحمن شلشر، بعين الناقد الخبير، كتابي الأول "فى مدرسة البنات" الصادر فى الكويت عام ١٩٨١، وحتى لا يقسو علىّ فى النقد، بادرت به وذكرت له أن قصص المجموعة كتبت فى فترة الستينيات، فقال لى على الفور: "صدقنى، إنها لا تزال محتفظة بجودتها الفنية، وقيمتها الأدبية، لقد أحسست معها بمتعة حقيقية وكأنها كتبت بالأمس فقط".

وأثناء الإعداد لمناقشة كتابي الثانى "أشياء لا تموت" فى ندوة نادى القصة، اتصل بى قائلاً:

"لقد دعوت لك كل النقاد المنتق عليهم، اتصل بهم من جانبك أنت أيضاً، للتأكيد عليهم، ومراعاة للأصول، فأنت صاحب العمل الذى سيناقشونه وصاحب الدعوة، ولا تنس الأستاذ عمرو الشامى بإذاعة البرنامج الثقافى، لكى نذاع الندوة".

وفى نهاية الندوة نكرنى بما سبق أن أشار إليه، من ضرورة إثبات تاريخ كتابة كل قصة فى نهايتها، وأضاف قائلاً: "ويا حبذا لو سجلت أيضاً تواريخ النشر فى الصحف والمجلات، تسهيلاً للقراء والدارسين المتخصصين".

ولكننى بكل أسف، فانتى أن أنفذ ذلك فى كتابي الثالث "لحظة الانتقام"، وأمل أن أعمل برأيه المفيد فى كتابي التالية إن شاء الله، لأننى فعلاً مقتنع بوجهة نظره تماماً.

هكذا كان رحمه الله يهتم اهتماماً صادقاً ومخلصاً بشئون جميع أصدقائه، وكان له غاية عظمى فى ذلك، نعم، كانت له غاية عظمى فى ذلك، ألا وهى حب وسعادة جميع الأصدقاء والزملاء، ورقى

ورفعة الأدب والأدباء.

ونحن معشر أصدقائه السخاين والمقربين. لم يكن ليخفى علينا أن مشاعره الإنسانية المرهفة، وهمومه الأدبية العامة، كانت جميعها وراء أزمته الشخصية.

فقد لمس مؤخرًا كما صرح لي، أن الحب الموجود بين الزملاء، الأدباء والنقاد أعضاء نادي القصة، ليس كما ينبغي له أن يكون، وغير كاف أبدًا لبناء صرح أدبي شامخ ومتكامل، كل لبنة فيه وثيقة الصلة بما حولها، وتشكيل فريق ثقافي متناغم، كل عضو فيه وثيق الارتباط بزملائه، ولنعزف جميعًا معًا منظومة العظمة والخلود للأدب المصري والعربي.

من التراث:

محمد المويلحي.. و.. حديث عيسى بن هشام

نظرة عامة:

حديث عيسى بن هشام يعد في طليعة الكتب المؤلفة في الأخلاق والعادات والنقد الاجتماعي، ويمكننا أن نعتبره مثالا رائعا لنهضة الأدب العربي في الشرق، وما من شك في أنه كان العامل الأول في بناء صرح النهضة الحديثة للغة العربية، وسلاسة لغته تعيد إلى الذاكرة أسلوب الكتابة الفنية "لجونكور" والإنشاء الخيالي "لهويسمان".

ولقد صور "محمد المويلحي"، مؤلف الكتاب، الحياة المصرية في شتى مظاهرها الاجتماعية بقلم جرىء وصراحة واضحة وإخلاص بلغ حد القسوة في تصوير الحقائق الواقعية تصويراً دقيقاً، نذكرنا بكتابات "بلزاك" و"فلوبير".

ومما هو جدير بالذكر أن نقد المويلحي لعادات وأخلاق معاصريه قد سابر الأيام والسنين، فلم يقف أثره في الإصلاح عند زمن معين أو مكان محدد.

ولقد حاول كثيرون من كتاب الأدب أن يحذوا حذو المويلحي في كتاباتهم، وأن يسابقوه في هذا المضمار، لكنهم أخفقوا جميعاً، وثبت أنه من المتعذر أن ينسج كاتب على منوال حديث عيسى بن هشام، أو أن يصل إلى سمو أسلوبه مقلد، فهو قد بلغ المثل الأعلى للإنشاء الوصفي، ودقة تصوير المجتمع.

ولقد بزغ نوره فى فجر النهضة الحديثة للأدب العربى، فمحت آيته مختلف المقامات الأدبية، وهدى لنوره الرجعيين القدامى من كتاب الأدب، واسترشد بسناه المجددون من الأديباء، فسلكوا من بعده الطريق المعبد إلى المستقبل المثمر.

هذه مقتطفات اخترتها مما كتبه المستشرق الفرنسى "هنرى بيرز"، لأنى وجدتها خير تقديم للكتاب الذى بين أيدينا.

وقد صاغ المويلحى فكرته فى شكل المقامة العربية، مراعى أصولها التقليدية، واستعمل السجع والبديع، وأسلوبه يتميز بالطابع المصرى الأصيل، الذى يحوى النكتة المستتره، والحزن الصامت المقنع.

وحديث عيسى بن هشام يجمع بين خصائص الرواية والمسرحية، من حيث الفكرة المشتملة على بعض العقد، وتعدد الشخصيات وكثرة الحوار والحركة، كما أن بعض فصول الكتاب تشبه المقالة الصحفية من حيث الشكل والمضمون وطريقة المعالجة، وقد نشر المويلحى كتابه على حلقات فى جريدة والده "مصباح الشرق" فيما بين عامى ١٨٩٨ - ١٩٠٠.

المؤلف:

ولد محمد المويلحى سنة ١٨٥٨ وهو ابن إبراهيم بك المويلحى، الذى كان كاتبًا عظيمًا وسياسيًا قديرًا.

وكانت أسرة المويلحيين قد جاءت إلى مصر من ثغر "المويلح" يشبه جزيرة العرب على شاطئ البحر الأحمر، ونسب الأسرة يمتد إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وأبى بكر الصديق رضي الله عنه.

وكان محمد بك المويلحى يتحدث بضع لغات، منها الفرنسية والإيطالية، وقد زار الكثير من الدول الغربية.

وكان من طراز المصلحين الذين وهبوا أنفسهم لوطنهم، وقد اشترك مع جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى إصدار جريدة

"العروة الوثقى" بباريس، كما اشترك في تحرير أكثر من جريدة منها "مصباح الشرق" التى كان يصدرها والده.

وفى عام ١٩٢٥ طلب إليه صاحب جريدة مصرية مشهورة أن يكتب للجريدة مقالين فى الشهر، لقاء أجر قدره ثمانون جنيهاً، على أن يتقيد بلون معين من الكتابة السياسية، فأجابه بقوله: "قلم المويلحى لا يباع".

وفى عام ١٩٢٧ قررت وزارة المعارف "حديث عيسى بن هشام" أو فترة من الزمن" للمطالعة فى المدارس الثانوية، هو ومؤلف آخر تركه المويلحى قبل وفاته، اسمه "رسائل فى الأخلاق" أو "علاج النفس".

وقد توفى رحمه الله فى آخر فبراير عام ١٩٣٠، ورثاه شاعر النيل المرحوم حافظ إبراهيم بك بأبيات مطلعها:

غاب الأديب أديب مصر واختفى فلتبكه الأقلام أو تتقصفا

ورثاه أمير الشعراء المغفور له أحمد شوقى بك بقصيدة.. منها:

علم فى البيان وابن لواء أخذ الشرق حقبة إبداعه

الكتاب:

تدور أحداث الرواية فى مطلع القرن العشرين، ويبدأها الراوى "عيسى بن هشام" فيخبرنا أنه رأى نفسه فى المنام يتمشى بين القبور فى صحراء الإمام، وإذا به يسمع رجة عنيفة ترعبه، ويلتفت فى خوف، فيصعقه أن يرى قبراً ينشق، ثم يخرج منه رجل طويل القامة، عليه سمات الجلال والعظمة، نعرف فيما بعد أنه الدفين "أحمد باشا المنيكلى" ناظر الجهادية المصرية فى عهد "محمد على وإبراهيم" وكان قد مات قبل زمن الرواية بأكثر من خمسين عاماً.

وهذه حيلة لجأ إليها المؤلف ليقارن بين عصرين، ويعرض حياة جيلين وما اختلف فيهما من قوانين وأنظمة وعادات.

وتنشأ محاوره بين عيسى بن هشام وأحمد المنيكلي الذي بعث حياً من القبر، نعلم منها أن القاهرة كانت فيما مضى، ذات أبواب وحراس، ولا يسمح بالدخول إلا لمن يعرف كلمة سر الليل.

يستعير المنيكلي رداءً من ابن هشام الذي يجدُّ معه في البحث عن بيته، ويندهش إذ يجد الشوارع مسماة والبيوت مرقمة.

يعترض طريقهما "مكارى" لثيم يحاول استدراج المنيكلي لركوب الحمار، فيرفض متعاضماً، فتتشب معركة بين الثلاثة، ويأتي البوليس متباطئاً بعد كثرة صياح المكارى..

وفي القسم، يدعى أن المنيكلي ركب الحمار ولم يدفع أجراً، ويصبح المنيكلي في موقف مهين، وهو الذي لا يعرف معنى القسم والبوليس، ويتذكر مجده وجاهه، فيأمر "الجاويش" بإدخال المكارى إلى السجن، فيسخر منه الجاويش ويتهمه بالجنون!

ويكون السجن من نصيب المنيكلي نفسه، حتى يتم الكشف عن صحيفة السوابق الخاصة به، فيصاب بالذهول ويقع مغشياً عليه عند سماعه هذا الحكم، ويتصادف أن يكون وقوعه فوق عسكري في غير ملبسه الرسمية، يقوم بكنس أرضية القسم.. وتصبح هذه ثانی قضية يتهم فيها المنيكلي!

ويمضى المؤلف - متقمصاً شخصية عيسى بن هشام - في تصويره اللاذع للمساوي والانحرافات بين رجال البوليس والقضاء، فنراهم ينامون في مقر عملهم، ويأخذون الرشوة، ويقضون ليلهم في شرب الخمر ولعب القمار!

وفي المحكمة الأهلية لم يستمع القاضي للمحامى والشهود كما يجب، لأنه كان متعجلاً، يريد أن ينتهي من النظر في ثلاثين قضية قبل أن تظهر، ليلحق بوليمة غداء دعى إليها هو وبعض رفاقه.. فحكم على المنيكلي - باشا - بالحبس سنة ونصفاً مع المصاريف.. ولا يملك المنيكلي إلا أن يمتثل، وينتظر حتى يعود إليه سلطانه السابق،

فبينت من كل الذين أساءوا إليه، ولكن ابن هشام كان له تصرف آخر، فتحوّلت القضية إلى محكمة الاستئناف، وتمّ الحكم ببراءة المنيكلي، وبقيت مشكلة أتعاب المحاماة، فالمحامى يريد أن يتقاضى أجره فوراً، والمنيكلي يسأله أن يصبر حتى يأتيه بعض خدمه بالمال.

ويمضى ابن هشام مع المنيكلي للبحث عما تركه من الضياع والوقف، فلا يجدان أثراً لشيء، ويصادفهما أحد أتباع المنيكلي، فيقودهما إلى ورثته، لكن هؤلاء يتكرونها تماماً، ويعتقدون أنه شخص مجنون، فيضطر للاقتراض من تاجر كان له فضل سابق عليه.

ويلجأ المنيكلي إلى المحكمة الشرعية للمطالبة بالوقف، يرافقه ابن هشام، ويستعينان بمحام شرعى مخادع، ينطبق عليه قول الشاعر:

إذا رام كيداً بالصلاة مقيمها فتاركها عمداً إلى الله أقرب

ولا يتم استخراج المستندات اللازمة من الدفترخانة الشرعية إلا بعد تقديم الرشوة للموظفين، لكن المحكمة كانت تؤجل القضية فى كل مرة لعدم حضور المدعى عليه، رغم الإنذارات التى وجهت إليه!

ويذهب بنا المؤلف إلى قصر حفيد الباشا، فنعلم أنه مدين للكثيرين من الناس رغم فخامة القصر الذى يعيش فيه.

وفى جميع أجزاء الرواية يتفنن المؤلف فى المقارنة بين الماضى والحاضر، والتقديم والجديد، فكما رأى المنيكلي شيئاً لا يعرفه - بحكم تغير الزمن - سأل عنه، فيجيبه ابن هشام بما يعطى صورة للحاضر، فيمضى المنيكلي إلى ذكر الشئ المماثل فى الزمن الماضى.. وهكذا تتم المقارنة فى إطار فنى شيق.

ويمرض الباشا فيلجأ إلى الطبيب، وهنا يعرض لنا المؤلف عيوب الحالة الصحية فى العهدين اللذين عاشهما المنيكلي.

ويتقشى وباء الطاعون فى البلاد، فيعتزل الباشا وصاحبه الناس، ويشغلان وقتها بالاطلاع فى كتب العلم والأدب، حتى يميل الباشا

إلى الدراسة والتأمل، فيطلب من ابن هشام أن يذهب به إلى مجالس العلماء، وينتهز المؤلف هذه الفرصة، فيحدثنا عن مساوئ العلماء وعيوب مجالسهم.

ثم يأخذنا في زيارة إلى طائفة من أرباب الوظائف الحكومية، ثم إلى بعض الأمراء من أبناء الأسرة العلوية.. والزيارتان هدفهما الدراسة والنقد.

وتزداد رغبة المنيكلي في البحث والاطلاع على الطباع والعادات، فيأخذه ابن هشام إلى أحد الأعراس، ويشرح له - ولنا - كل ما يتعلق بالحفلات والأفراح.

ويسير المؤلف على نفس الخط، فيذهب بنا إلى حديقة الأزيكية، وهناك نلتقي بالعمدة، وهو شخص ريفي مترف، يتابعه المؤلف ليصوره لنا كفرد في المجتمع، ثم يسلط عليه مزيدًا من الضوء، فيجعلنا نشاهده هو والجو المحيط به في المطعم والحنان، والمرقص والأهرام وغيرها.

وفي نهاية هذه الجولات يتساءل الباشا عن السبب فيما رآه من انحلال لم يكن موجودًا أيام حياته الأولى، فيجيبه ابن هشام، بأن السبب يرجع إلى دخول المندنية الغربية بغتة في البلاد الشرقية، وتقليد الشرقيين للغربيين تقليدًا أعمى!

ويكون ذلك الحديث سببًا في أن يطلب الباشا زيارة بلاد الغرب.. وبالفعل يأخذنا المؤلف في رحلة ممتعة إلى باريس، فيطلعنا على جميع أوجه الحضارة والمندنية هناك، ولا يفوته أن يضع أمام أعيننا صورًا مختلفة للانحلال والانحراف في المجتمع الغربي. وأخيرًا يعود بنا المؤلف من الغرب إلى الشرق قائلًا:

ولم يكن لنا بد في هذه الحال من السفر والانتقال، فاستخرنا الله في العودة إلى ديارنا والأوبة إلى أوطاننا، والحمد لله باطنًا وظاهرًا.

سبتمبر ١٩٦٨

لقاء مع الشاعر الكويتي عبد الله زكريا الأنصاري^(*)

مقدمة:

ترجع صلتى الشخصية بالمفكر الكبير الأستاذ عبد الله زكريا الأنصاري إلى ما يقرب من عشر سنوات مضت، أما صلتى الفكرية به، فهي أبعد وأطول من ذلك عمراً، حيث كنت - ولا أزال - أقرأ له فاستمتعت بما أجده في كتاباته من قوة المعنى، وأصالة التجربة، وعمق الثقافة، وثراء الفكر، فكان ثمة لقاء دائم بينى وبين فكره العربي الأصيل.

ثم اقتربت منه أكثر، من خلال الرسائل الشخصية التى بدأنا نتبادلها فى أواخر الستينيات.. كما حرص المفكر الرائد، على أن يهدينى مشكوراً، نسخة من كل مؤلف جديد يصدر له، بل وكان يرسل إلى شهرياً وبانتظام أعداد مجلة البيان الغراء. حيث كنت فى القاهرة لا أزال.

وكانت قصصى ومقالاتى تنشر فى مختلف الصحف والمجلات المصرية والبيروتية.. ولكنى كنت أشعر بسعادة خاصة كلما نشر أحد أعمالى فى مجلة "البيان الكويتية" وكان الأستاذ الأنصاري رئيس التحرير - آنذاك - يقدر إنتاجى خير تقدير.

وفى إحدى الرسائل كتب إلىّ بخبرنى بموعد إحدى زيارته

* - نشرت فى جريدة "القبس" الكويتية فى ٣ مايو ١٩٧٨.

للقاهرة، ويحدثني عن رغبته في أن نلتقى على ضفاف النيل العظيم.
والحقيقة أنني سعدت بلقائه أعظم سعادة، حيث قضيت معه أمسية
فكرية ممتعة.. بالعجوزة.. في شقته المطلة على نهر النيل الخالد.
ومن ثم توقفت صلتى بالأستاذ الأنصاري.. وبعد أن استقر بي
المقام في الكويت، كان أول شيء فعلته، هو أن قمت بزيارته في بيته
العامر بالشامية.. فكان اللقاء حميمًا وممتعًا.

وما أقدمه اليوم، هو حوار فني، دار بيني وبين شاعرنا الكويتي
الأستاذ عبد الله زكريا الأنصاري.. حول مختلف القضايا الأدبية
والفكرية.. العربية والمحلية.

الواقع العربي.. والحرب النفسية:

* أعتقد أن أبناء المعاصر قد تأثر إلى حد كبير بواقعنا العربي
الراهن وبالتحديات الخارجية في هذه المرحلة التاريخية من حياة
أمتنا. فما هي وجهة نظركم في ذلك؟

- يخيّل إليّ أن الحركة الأدبية في الوقت الحاضر تتعرض لحرب
نفسية، تشنها القوى الاستعمارية على أمتنا العربية، وهذه الحرب
موجهة بالذات إلى اللغة العربية وتستهدف تضييع أصالة لغتنا
القومية، وتشويه تراثنا وتاريخنا.

وأيضًا، فإن سبب تمزق الألب العربي في البلاد العربية، هو
تمزق البلاد العربية أصلاً، فالبلاد العربية لو نظرنا إليها اليوم
لوجدناها متعددة، لكل منها تقاليد وعادات ونظم وقوانين. وكل بلد
يكاد أن يكون معزولاً عن بقية البلاد الأخرى، وهذا هو سبب تجزئة
الألب العربي وضعفه، ولو كانت أجزاء الأمة العربية متفكة ومتحدة
لأصبح هناك ألب عربي قوى يمثل هذه البلاد العربية ككل،
والأصالة العربية بوجه عام.

ومن حسن الحظ أن الأمة العربية فيها أدباء وشعراء أصلاء،
يؤمنون بالقضية العربية الراهنة، والوطن العربي الشامل.

* من الملاحظ أن بعض المجلات الأدبية تتعثر في الصدور، بل وقد تتوقف تمامًا. فما هي الأسباب في رأيكم؟

- المجلات الأدبية تعبر عن الفكر الإنساني، بشكل جاد وعميق، ومعظم قراء اليوم يريدون الشيء السهل الذي لا يحتاج إلى كد فكري، كما أن الكثيرين قد انصرفوا إلى الاستمتاع بالإذاعة والتلفزيون والسينما، والقارئ الأصيل في البلاد العربية موجود، ولكن بنسبة قليلة، إلا أنه مهما تكن هذه النسبة، فإن المجلات الأدبية ينبغي أن تكون موجودة ومستمرة وسوف تجتذب المزيد من القراء.

واعتقد أن الوطن العربي يحتاج إلى مجلة أدبية جامعة، تعبر عن الأدب العربي في مختلف أنحاء البلاد العربية من المحيط إلى الخليج، لأن الأديب العربي عندما يكتب قصيدة أو قصة بالفصحى، فإنها تقرأ في مصر كما تقرأ في الكويت، وسوريا ولبنان.. وجميع البلاد العربية.. وأنا ضد فكرة تقسيم الأدب، إلى أدب مصري وأدب كويتي وأدب جزائري.. فأدبنا جميعه هو الأدب العربي.

الأدب في الكويت:

* وجود "رابطة الأدباء" يعد من المظاهر الصحية للحركة الأدبية في الكويت، فما هي أوجه نشاط هذه الرابطة؟

- نشاط الرابطة الآن يعتبر أضعف مما نرجو، والسبب قلة الإمكانيات. والرابطة تصدر مجلة "البيان"، وتقيم في مقرها اجتماعات أسبوعية لمناقشة القصص والقصائد والأبحاث، وإلقاء المحاضرات وغيرها.

* كثر الحديث هذه الأيام عن غياب الأدب الكويتي، والبعض قد يبلغ في مثل هذا الحديث، فهل ترسم لنا صورة واضحة لملامح

الحركة الأدبية الكويتية.. الآن؟

- الكويت مرت بموجات أدبية مختلفة. فقبل ٥٠ سنة كانت هناك حركة أدبية لا بأس بها، ثم ضعفت، ثم نشطت. وحاليًا توجد حركة أدبية ولكننا غير راضين عنها، لأنها غير كافية، إذ يجب أن تكون هناك حركة أدبية قوية ونشيطة تعبر عن روح المجتمع العربى فى الكويت وتتجاوز مع النهضة الأدبية فى مختلف أنحاء البلاد العربية.

* الدعوات الأدبية، هى إحدى وسائل للتبادل الثقافى بين البلاد العربية، فهل ترون أن مثل هذه الدعوات، يتم تبادلها بالقدر الكافى؟

- الدعوات الأدبية فيها فائدة كبرى، ولذلك يجب أن نكثر منها. والأديب المقيم فى أى قطر عربى عندما يدعى إلى قطر عربى آخر، يجب أن يشعر بأنه فى وطنه كأديب عربى، وليس كأديب سودانى مثلا أو عراقى أو تونسى، فكلنا أبناء عرب.

وأيضًا يجب الإكثار من المؤتمرات الأدبية، بشرط أن يتم تنفيذ ما يتخذ فيها من القرارات والتوصيات.

الكتاب العربى:

* الكتاب العربى الآن يعانى من سوء التوزيع، فكيف يمكن التغلب على هذه الظاهرة؟

- يجب تشجيع الكتاب العربى، ورفع جميع القيود المفروضة عليه حتى يسهل تداوله.

ونسبة القراء الجادين لها دخل.. وأعتقد أنه يمكن زيادة نسبة القراء بجعل سعر الكتاب فى متناول الجميع.

* فى السنوات الأخيرة، كثر الجدل حول الشعر الحديث، إذ اختلف القراء والنقاد على حدٍ سواء فى تناوله وتقييمه، والحكم له أو عليه. فما هو موقعكم من قضية الشعر الحديث؟

- الشعر الحديث هو الذى يأتى بمعان حديثة، ويعبر عن العصر من حيث المضمون وليس الشكل فقط.

والشعر العربى بطبيعته شعر غنائى يتغنى عن الفرح والحزن، والشعر الغنائى لا بد أن يكون له إيقاع ونغم، أما إذا فقد الإيقاع والنغم فإنه لا يصبح شعراً. وأكثر الشعر الحديث غير صالح للغناء لأنك مثلاً تجد فيه شطرة مكونة من كلمة واحدة، وأخرى مكونة من عشر كلمات وهذا يفقده الإيقاع والنغم، ولذلك يجب وضع أصول وقواعد للشعر الحديث.

والشاعرة "نازك الملائكة" طالبت بنفس الشيء، وهاجمت الكثيرين ممن يكتبون الشعر الحديث الخالى من القواعد والأصول.

ومن كتاب الشعر الحديث من يكتبون قصائد مختلفة الأوزان والقوافى، رغم ذلك نجد فيها أصالة الفن إذا كان الشاعر أصيلاً مثل "محمود حسن إسماعيل".

ومن مضار الشعر الحديث أنه يسمح للكثيرين ممن لا يملكون الأصالة الشعرية بأن يندسوا بين الشعراء، ويكتبوا كلاماً يسمونه شعراً، وهو فى حقيقته ليس شعراً بالمرّة.

إن الشعر هو روح الإنسان وشعوره، والشاعر الأصيل هو الذى يعبر عن شعور حقيقى ومعاناة صادقة، وهو حينما يمر بتجربة يعانى معاناة شديدة ويغلى مثل المرجل، فيأتى شعره صادقاً أصيلاً.

ونحن اليوم إذا أخذنا قصيدة من الشعر الجاهلى وقرأناها فى المغرب أو البحرين أو اليمن، فإن السامعين سوف يهتزون إعجاباً.. لماذا؟.. لأنها قصيدة عربية صميمة وأصيلة.

وبالمناسبة، فإن الناقد قد يستطيع أن ينقد الشعر من حيث اللغة والوزن والقافية ولكن لا يجوز له أن يحكم على شاعرية الشعر ما لم تكن لديه روح الشاعر، ومر بالتجارب الشعرية.

* بقى أن نعرف رأيكم - كشاعر - فى القصة القصيرة.

- قرأت العديد من القصص، وأعتقد أن بعض القصص تكون معبرة
تعبيراً صادقاً عن كاتبها، مثلما تعبر القصيدة عن شعور الشاعر..
وإن كان الأسلوب يختلف.

وأنا ضد الغموض والإبهام فى القصة والشعر. وإذا كان الأديب
أو الشاعر فى موقف يحتم عليه استخدام الرمز فليرمز رمزاً فيه
أصالة ويمكن فهمه.

وأنا لم أكتب غير قصة واحدة فقط ولم أنشرها.

عبد الله زكريا الأنصاري.. وداعاً!

كان المغفور له بإذن الله تعالى، المفكر الجليل والشاعر الكبير الأستاذ عبد الله زكريا الأنصاري علماً من أعلام الكويت، ورمزاً بارزاً من رموزها الثقافية، ورائداً من رواد النهضة والتتوير فيها، امتد ضياؤه إلى كل أرجاء الوطن العربي.. من المحيط إلى الخليج. غير أننا بقلوب حزينة ولكنها مؤمنة وراضية بقضاء الله، نقول له: وداعاً، وسلاماً.. تتعم به روحك الطاهرة إن شاء الله.

علمت نبأ انتقاله إلى رحاب الله، من المقال المنشور في صدر مجلة العربي الغراء، في مطلع شهر يوليو ٢٠٠٦.

هزنى النبأ الأليم هزناً، وحرك في نفسي زكريات غالية، سعدت فيها بشرف القرب من الراحل الكريم زمناً طويلاً، أعرضها بإيجاز ليستشف منها قراء "العربي" الأعداء مدى سمو وعظمة وتواضع المفكر الإنسان والأديب الشاعر الذي استحق بجدارة أن يكون أستاذاً للأجيال ورائداً للتتوير في وطنه العربي الشامل.

كان يرحمه الله يكبرني بحوالى خمسة عشر عاماً، ولكنه لم يشعرني بذلك يوماً، ولا حتى أشعرنى بأن قامته الأدبية والفكرية أكبر كثيراً من قامتي، بل ولم يشعرني بأى فوارق أخرى بيننا جميعها في صالحه.

كان بالنسبة لي أستاذاً ومعلماً، ولكنه بتواضعه الشديد اتخذني صديقاً. في بداية تعارفنا أوائل السبعينيات، كان رئيساً تحرير مجلة "البيان" الكويتية، بالإضافة إلى منصبه الأساسي.. "مدير إدارة" بوزارة الخارجية، وكنت - آنذاك - أطرق أبواب مجلته من القاهرة،

أملا أن ينشر لى على صفحاتها قصة أو مقالا، فإذا به يكرمنى وينشر كلا منهما وبينهما فاصل زمنى بسيط، ويخاطبنى فى رسالة كريمة منه بتاريخ ١٢/٤/١٩٧٠ قائلا:

".. لقد بادرنا بنشر قصتكم الجيدة.. فى العدد الممتاز.. كما أننا سننشر لكم دراستكم..".

وتوالى بعد ذلك النشر والتراسل، وصار يشرفنى ويهدى لى عبر البريد كل كتاب يصدر له، إضافة إلى كل عدد من مجلة البيان به مادة منشورة باسمى.. وصورتى.

ثم هيا لى مفاجأة سارة عندما تواجد بالقاهرة، وأعرب لصدى الأديب "رستم كيلانى" عن رغبته فى أن يلتقى بى ويرانى، كتوثيق إنسانى لما بيننا من علاقة أدبية عمرها - حينئذ - يقترب من العامين، فسعيت إليه برفقة صدى وسعدت بلقائه لأول مرة بتاريخ ١٤/١٢/١٩٧١ فى شقته الخاصة المطلة على النيل بالعجوزة.

استمتعتنا ثلاثتنا بقضاء أمسية ثقافية (مصرية - وكويتية)، أردت أن أسجلها للأجيال، وأعبر من خلالها عن ترحيبى وحفاوتى بالشاعر الكبير، فأمسكت بقلمى وأوراقى وأجريت معه حوارًا فكريًا وأدبيًا، ليستفيد من ثقافته الواسعة وتجاربه المتنوعة قراء مجلة "القصة" التى كنت أعترم نشر الحوار فيها.

أعتقد أن تلك الأمسية الحميمة أكدت ميلاد صداقة فريدة بيننا، وتركت فى نفس الأستاذ أثرًا طيبًا، لأنه بعدها كتب لى رسالة رقيقة بتاريخ ٢/٣/١٩٧٢ تضمنت قوله:

".. أمل أن نراكم على ضفاف النيل العظيم قريبًا إن شاء الله تعالى..".

وأهدانى صورة شخصية له، وذكرنى بضرورة تزويده بنسخة من المجلة التى سأنشر بها الحوار.

إلا أن سوء الحظ لاحقنى، فتعثرت مجلة "القصة" وتوقفت عن

الصدور لأسباب مادية، وتعين على أن أبحث عن مجلة أو صحيفة
بديلة لنشر الحوار.

ولكن الأقدار شاعت أن أسافر إلى الكويت بعد ذلك بأشهر قلائل،
للعمل في التدريس والإقامة في ذلك البلد الشقيق، إقامة دامت ربع
قرن من الزمان.

ولعله من المعروف للجميع في تلك الفترة بالذات حجم الإجراءات
والمشاكل التي لا بد أن يمر بها المواطن المصري الذي يريد أن
يحصل على إجازة بدون مرتب، أو حتى يستقيل من عمله للالتحاق
بعمل آخر لدى جهة خارجية، ولو أنها عربية وشقيقة، إضافة إلى
متطلبات السفر ذاته على المستويين، الشخصي، والرسمي الذي
يتطلب إجراءات لا حصر لها، إلى آخر تلك الدوامه التي استغرقتني
تماماً لدرجة نسيت معها تقديم الحوار للنشر بكل أسف!

وكنت قد اخترت الكويت للتعاقد معها من بين ثلاث دول وصلت
مع كل منها إلى مرحلة التعاقد، ولكني فضلت العمل والإقامة في
الكويت لجملة أسباب، من بينها، إن لم يكن أهمها، أن لي فيها صديقاً
من أهلها أعتز بصداقته كثيراً جداً.

ولقد رحب بي الأستاذ العظيم في بلدي الثاني - على حد قوله -
أجمل ترحيب.

استقبلني في مكتب، وزودني بأهم المعلومات التي يجب أن
أعرفها عن طبيعة وطنه ومواطنيه، وأبدى استعداداه التام لمساعدتي
بأي شكل من الأشكال، فشكرته ممتناً.

ودعاني وأسرتي لزيارته وأسرته عائلياً، بعث سيارة بسائقها إلى
على دار الضيافة حيث الإقامة المبدئية، فأقلنتي وأسرتي الصغيرة إلى
بيته العامر بالشامية، فجمعتنا سهرة عائلية لا تنسى، أسعدتنا خلالها
أمور كثيرة، لعل أهمها نبأ تخرج كريمته في كلية العلوم، متلمها

تخرجت أنا قبل عدة أعوام - آنذاك - من الكلية المثيلة والجامعة النظرية.. ونجاح الأبناء عموماً شيء مفرح.

وفى الكويت، كان على الاهتمام بعملى الأساسى بالدرجة الأولى طبعاً، إضافة إلى حتمية القيام بما يلزم للاستقرار فى مسكن مناسب وتأثيره بما يليق، ثم كانت هناك ضرورة اقتناء سيارة خاصة كوسيلة للمواصلات لا غنى عنها، بعد الحصول على رخصة قيادة كويتية، وما أصعب ذلك، وكان لا بد لى من التعرف على خريطة المدينة، لكى أستطيع التوجه مثلاً نحو مواقع دور الصحف والمجلات، والتعرف على بعض المسئولين عنها والكتاب فيها، وكذلك مواقع بعض الهيئات الثقافية والأدبية ذات الأهمية، مثل وزارة الإعلام، ورابطة الأباء.. وغير ذلك، لأمهد لنشر الحوار فى مطبوعة تليق به.

ولكن الرياح تأتي بما لا تشتهى السفن، فقد أصبت وسيارتى فى حادث مرورى مؤسف، بسبب خطأ الغير، لا زال أعانى حتى اليوم من آثار ما أحدثه بى من إصابات!

كما كان هناك شاغل إجبارى مستمر وفى غاية الأهمية، وهو دورات الرياضيات الحديثة أو المعاصرة.. المسائية، التى كانت وزارة التربية تنظمها لنا مشكورة بشكل شبه متواصل، وكانت تعقد لنا الامتحانات فى نهاية كل دورة.. وهل يليق بأى أستاذ معلم أن يرهب؟!!

طبعاً كنا ننقضى فى الدراسة ليلاً ونهاراً، لنضمن لأنفسنا ولمن نعلمهم جودة المستوى، وهذه وحدها ميزة تحسب لوزارة التربية الكويتية..

وأعود إلى ما كنت أتحدث عنه، فأقول إن مثل هذه الأمور المستجدة والمتشعبة، شغلتنى أيضاً بكل أسف عن تقديم حوار الشاعر الكبير معى للنشر، لمدة زادت على خمس سنوات فيما أظن، حتى بات الأمر مخجلاً جداً، ولكن الأستاذ العظيم لم يشر إلى ذلك قط!

فما كان من موضوع الحوار ذاته إلا أن ألح على ذهنى ضاغطاً

بقوته الذاتية الكامنة، فأسرعت بتقديمه للنشر فى جريدة القبس،
وبمجرد نشره بتاريخ ٣ مايو ١٩٧٨، أسرعت بإبلاغ الأستاذ،
وكلماتى تتعثر بين شفتى لفرط تقصيرى وشدة خجلى!

لكن ذلك لم يفسد للود قضية فيما بين الأستاذ العظيم وبينى.

قبل وبعد تلك المعايشة التى بلغت درجة المواطنة فى الكويت، كنا
نعيش وبيننا آلاف الكيلو مترات الفاصلة، ولكننى كنت مطمئناً إلى
وجوده كما لو كان على مقربة منى، إذا اتصلت به سمعت صوته،
وإذا كتبت له تلقيت رده، وعبر الاتصال أو الكتابة كنا نتبادل حوار
الأفكار والآراء.

الآن لم يعد أى شىء من ذلك ممكناً!

لقد سبقنى فى الرحيل، وإلى أن يحين موعدى المحدد سأظل
أتذكره دائماً بالخير وأدعو له أطيب وأصدق الدعوات.

يوليو ٢٠٠٦

من الغرب:

حب ومال

أرسكين كالدويل (*)

أرسكين كالدويل، يعد من أبرز كتاب الرواية والقصة القصيرة في الولايات المتحدة الأمريكية، وقصة حياته تعطينا مثلاً طيباً للإنسان الذي يحدد له في الحياة هدفاً ينشده، ثم يعمل على الوصول إليه بكل ما أوتى من جهد وإرادة.

كان أبوه واعظاً فقيراً، ولعل ذلك هو ما دفعه لأن يشغل أوقات فراغه بأى عمل يتقاضى عنه أجراً مهما يكن بسيطاً.. فقد عمل فى معصرة لبذرة القطن، وفى محل لعصير البرتقال، وفى مخزن للزجاج والفخار، كما أنه مارس بعض الحرف الأخرى، مثل.. قيادة السيارات، وبيع اللين.. وكان مغرمًا بالرحلات لدرجة أنه قبض عليه ذات مرة بتهمة التسول.

وقد أحب الأكلب وهو لا يزال طالباً، وقرر أن يعد نفسه ليصبح كاتباً فى المستقبل، وقد بدأ حياته الأدبية بكتابة بعض الأخبار الصغيرة فى إحدى الصحف الإقليمية، دون مقابل. ثم أخذ يرسل بعض الصحف الكبرى، ولكنها لم تكن تنشر له غير بعض أسطر من بين كل مائة سطر يكتبها، وبأجر ضئيل جداً.

وحين بلغ الحادية والعشرين، انقطع عن دراسته الجامعية، وعمل

*- نشرت فى جريدة "القبس" الكويتية فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٩.

محرراً صحفياً. وفي تلك الأثناء بدأ محاولاته لنشر قصصه.. كان يبعث بها إلى صحف نيويورك فترد إليه مرفوضة.. رفضت له أكثر من خمسين قصة ولم يدركه اليأس، بل استمر يكتب المزيد من القصص.. كان يكتب في الليل، وفي النهار كان يزرع البطاطس ليأكل، ويجمع الحطب ليتنفاً.

ومن التصاقه بالفلاحين والفقراء، ورحلاته بين القرى والولايات، كان دائماً يجد ما يعبر عنه.

ولقد حظى بقسط وافر من القراءة والثقافة، خلال فترة كان يكتب فيها التعليقات على الكتب وتشرها له إحدى الصحف، وكان أجره على ذلك هو الكتب نفسها، التي باعها فيما بعد ليحصل على القوت الضروري.

وبعد ست سنوات طويلة شاقة، من التجربة والمعاناة، والصراع مع الكلمات والمعاني، وبعد أكثر من خمسين قصة مرفوضة.. نشرت القصة الأولى لأرسكين كالديويل.

كنت ممتلكاته.. آلة كاتبة نصف عمر، وحقيرة ملابس، وماكينه لف سجانر.. وكان يسكن في بيت قديم أو غرفة ضيقة، ويعيش على الكفاف أحياناً.. وكانت قصصه تتعثر في النشر.. لكنه كان مصمماً على أن يصبح كاتباً مشهوراً.. فأصبح، وأصبحت كتبه توزع بالملايين.. ثم اتخذ لنفسه وكيلاً لأعماله وسكرتيرة خاصة.. وقد ظلت روايته "طريق التبغ" تعرض كمسرحية لمدة سبع سنوات ونصف دون انقطاع.. ثم تحولت إلى فيلم سينمائي، بالرغم من أن معظم النقاد كانوا قد هاجموا في بداية ظهورها كرواية.

ولقد ترجمت قصصه وروايته إلى عدة لغات. وكانت حقوقه عن مؤلفاته التي ترجمت إلى الروسية، حقيبتين مملوءتين بأوراق: نكنوت، تسلمها في حفل أقامه له اتحاد الأدباء بموسكو.

ونمضى إلى رواية "حب ومال" لأرسكين كالديويل، والتي ترجمها

إلى العربية الصحفى المعروف "لويس جريس"، فنذكر - بعد ما علمناه عن حياة المؤلف - أنه هو نفسه بطل الرواية، وراويها. بطل الرواية إذن كاتب، ونحن نلتقى به وهو يعيش فى أزمة نفسية، تحدث لجميع الكتاب وهى أزمة البحث عن فكرة مناسبة، لرواية جديدة.

ومنذ اللحظة الأولى، نشعر بصداقة وليدة تنمو بيننا وبين البطل "ريك"، ولا نملك إلا أن نحس بآلامه، ونتعاطف معه، حينما يتحدث إلينا قائلاً:

فى كل مرة أشعر أنتى على استعداد لكتابة رواية جديدة، أواجه فترة طويلة من التردد وعدم الرضا وتوتر الأعصاب، وتظل هذه الحالة تلازمنى حتى تتبلور فكرة الرواية وتصير محكمة ومسيطرة وثابتة فى ذهنى.

ويحدث غالباً أنه أثناء هذه الأسابيع المليئة بالعذاب والمعاناة والتردد، أجد نفسى على وشك أن أقسم ألا أقدم على كتابة رواية مرة أخرى طوال حياتى.

وبالرغم من ذلك أبدأ فى كتابة الرواية، وعندما أكون على وشك الانتهاء منها، أعرف من شعورى الدافق والعميق بالرضا، أنتى دائماً سوف أجلس لأكتب رواية جديدة.

إنه تحليل صادق ورائع لما يعتمل فى أعماق الكاتب قبل أن يقدم على خلق عمل جديد.. والكاتب يعرفون هذا الشعور المضنى جيداً.

ويحاول ريك أن يخرج من وحدته وقلقه، فيرسل برقية إلى صديقه الناشر "هارفى" يطلب منه أن يترك نيويورك، ويحضر إليه فى ساراسوتا.

ويرسم المؤلف صورة نموذجية للشخصية الرأسمالية، متمثلة فى هارفى، الذى يضع تخطيطاً دقيقاً لمشروعاته التجارية، بحيث يضمن

لها الربح والاستمرار.. وهو كناشر نكبي، يدرك أنه يكسب الكثير من وراء مؤلفات ريك، يلبي دعوته ويحضر إليه في ساراسوتا. ويجده مهمومًا بالبحث عن فكرة لروايته الجديدة، فيحاول أن يخفف عنه، ويساعده في التفكير. ويعرض عليه فكرة رواية يظنها مناسبة، مبدئيًا استعدادًا للتأم لدفع أي مبلغ يطلبه ريك مقدمًا.. ومن الطبيعي أن يرفض ريك فكرة الرواية المعروضة عليه، لأن الكاتب الاصيل لا يحقق ذاته إلا إذا عايش تجربته الفنية، ومارس عملية الخلق والإبداع على نحو يرضيه.

وكمحاولة أخرى للخروج من الأزمة، يبدأ ريك في الاهتمام بقتاة الكوكيتل "تس" التي تعمل في الفندق الذي يقيم به.. ويتبين أنها جميلة ورفيعة، فيعجب لكونه لم يكتشف ذلك من قبل، ويحاول أن يتحدث إليها وهي تقدم له الويسكي، فتعرض عنه تارة، وتقبل عليه تارة أخرى.

ويعمل "البارمان" على إخراج ريك من دائرة القلق، فيجلس إليه، ويتحدث معه عن عملية الكتابة، وعلاقة الكاتب بالناشر. ولكن ريك يغير مجرى الحديث، ويديره حول "تس" مؤملاً أن يعرف عنها شيئًا.. ويصارحه البارمان بأنه يحبها ويعبدها، لكنها تصده وترفض حبه، رفضًا قاطعًا، بالرغم من أنها تعيش وحيدة وليست متعلقة بأحد.. ويطفح الحزن من عينيه وهو يقول: إن "تس" سوف تترك الفندق، وتغادر ولاية فلوريدا بأكملها، دون سبب واضح.

تجاهل ريك مشاعر البارمان، ونجح في قضاء ليلة ممتعة مع تس، بيد أنه لم يستطع معرفة أي شيء عن حياتها أكثر من كونها وحيدة، الأمر الذي زاد من تعلقه بها، وأثار فضوله كفنان وهو وإن كان قد اندفع إليها في البداية ليعالج بها قلقه وعذابه، إلا أنه أصبح أسير حبها تمامًا. وقد اعترف لها بحبه، ووحدته بعد أن طلق زوجته السابقة. وتوسل إليها أن تبقى، لكنها صممت على الرحيل إلى "نيو أورليانز" قائلة له أن هذه هي طريقته في الحياة، ويجب عليه أن ينساها نهائيًا،

ورفضت أن تذكر له عنوانها الجديد، أو تعطيه وعدًا باللقاء.

يحمل ريك آلامه العاطفية، ويذهب لزيارة الناقد الدكتور "روب" فيفهم هذا سر زيارته ويقول له: "أعتقد أنه إذا لم يكن لديك مشاكل، فإنك سوف تبحث عن بعض العقد والمشاكل، لكي تجعل نفسك تحس بأن الحياة تستحق أن نحياها". ثم يسأله: "هل تسبب لك فكرة روايتك الحديثة بعض المشاكل الفنية، ولكي تخفف من آلام المعاناة الفنية، تبحث عن امرأة.. أى امرأة؟.. إنك تستعمل المرأة كما تستعمل ورق الكتابة أو ورق التواليت، ثم تلقى بها بعيدًا".

ويحاول ريك أن يقنع روب بأن تس امرأة من نوع خاص، وليست ككل النساء، ولذلك فهو لن يستطيع البدء فى كتابة الرواية إلا بعد أن يلتقى بها من جديد، ويستقر معها عاطفيًا.. يسخر منه روب، ويدخل معه فى نقاش فلسفى عن الرجل والمرأة، ومشاكل الوجود الإنسانى، فالرجل يكون عليه أن يختار.. الواجب أو الرغبة، والمرأة يكون عليها أن تختار.. الحب أو المال.. ويتحدثان عن أهمية المرأة فى حياة الرجل، ثم يتدرج بهما الحديث إلى الأدب والنقد. وفى النهاية يخرج ريك وقد أثقل بالأم فكرية، أضيفت إلى آلامه العاطفية.

ولقد أجاد كالدويل رسم شخصية الناقد الذى لا يعجبه شىء، وتصوير العلاقة الموتورة دائمًا بين الكاتب والناقد، وإن كانا صديقين.

يلتقى ريك بسمسار عقارات، أرسله إليه الناشر هارفى، لكى يمكنه من استئجار مسكن مناسب، يخلو فيه إلى كتابة روايته.. ويقومان بعدة جولات فاشلة، فيضطر ريك للبقاء فى الفندق.. ويبدل بعض المحاولات للبدء فى كتابة الرواية، لكنه لا يوفق، ويقرر الرحيل.

ويستتج البارمان أن ريك سيرحل إلى نيو أورليانز وراء تس، فيتحدث إليه فى إنسانية ومحبة، ويقول له إنه لا يمكن أن يكرهه أو يحقد عليه بسبب علاقته مع تس، لأنه من الممكن أن يكسب أو يخسر أى امرأة فى أى وقت. أما بالنسبة إليه، فهو يفضل أن يكونا

صديقين.. وقال البارمان إنه يعتقد أن تس كانت متزوجة في يوم ما، وهي لم تذكر له عنوانها أيضًا، ولكنه يخمن أنها تفضل العزل في بار ميرى" بالحي الفرنسى فى نيواورليانز.

وفى بار ميرى، لا يجد ريك تس، وإنما يلتقى بزميلتها "سولين" وهى مطلقة غير جميلة وسكيرة وساقطة، وترفض أن تبوح له بأى شىء عن تس إلا بعد أن يكف عن التفكير فيها، ويذهب معها إلى منزلها، ويمارس معها الحب بطريقة تعجبها وتشبعها.. فإبى رغباتها، ثم تخبره بأن تس كانت تعلم أنه سوف يطاردها، ولذلك فقد رحلت إلى "هيوستون" لتعمل فى "نادى البلوبونت" بعد أن أخذت عليها عهدًا بالأبوح له بعنوانها.. وتبكى سولين متحدثة عن وحدتها وتعاستها وحاجتها إلى الرجل.. وتقول شيئًا تعتقد أنه حقيقة، وهو أن جميع الساقطات يتزوجن إن آجلا أو عاجلا.. فمن منا سمع عن عانس ساقطة؟.

هناك رأى يقول إن الرجل يكون كالطفل أحيانًا، وخاصة إذا كان فنانًا. ولعل هذا هو المعنى الذى أراد كالديول أن يجسده فى شخصية ريك، ذلك المؤلف العاطفى الذى كتب كثيرًا عن الحب دون أن يجربه، والذى يبدو كالمجنون فى ملاحظته لفتاته تس. فقد سافر إلى هيوستون والتقى بها لقاء خاطفًا، وتحت إلحاحه وعدته بقاء آخر، بيد أنها تركت له رسالة اعتذار، قائلة إنها اضطرت للسفر، بسبب مرض أحد أفراد عائلتها، وسوف تخطره بعنوانها فيما بعد.

ويتعرض ريك لسخرية صديقه "كونى" وزوجها "كين" ووكيل أعماله "جاك". وتشفق عليه كوني، فقد كانت بينهما نية للزواج من قبل، ولكنها لم تتحقق، فتعامله كأخ، وتساعدته فى الحصول على مسكن له مديرة، وتعارضه بشدة فى حبه لتس. وترجوه أن يتعد عنها، وتعهده بأن تحصل له على فتاة تجعله ينساها تمامًا. وبالفعل ترسل إليه بفتاة جميلة، اسمها "نانسى" وهى لعوب فاجرة، تطلب منه

الجنس فى جرأة متناهية، تدخل عليه الحمام، وكلاهما عار تمامًا، ويتذكر تس، فتختنق رجولته، وتخبو رغبته فى نانسى، التى تصاب بخيبة الأمل وتصرخ فيه: "إننى أعلم ماذا حدث، لقد فعلت الشئ الذى طلبت منك أن تعدنى بعدم فعله.. إنك تفكر فى الفتاة الأخرى.. إنك لا تريد ممارسة الحب معى.. إنك تريد ممارسة الحب معها.. قالت لى كونى إنك لن تمارس الحب معى مهما أحاول، ولكنى لم أصدقها، ظننت أننى أستطيع إغراءك على ممارسة الحب معى.. الآن أعرف الحقيقة عنك.. إنك ناقص الرجولة.. يا شاطر لو كنت مكانك لخلعت البنطلون ولبست الفستان، فإذا كنت ناقص الرجولة فسوف تشعر بالأمان وأنت داخل الفستان.. ها أنذا معك فى الحمام.. وماذا حدث.. لا شئ.. لا شئ على الإطلاق.. كنت أعتقد أن بك بعض الرجولة، وأنك تستطيع إظهارها.. إننى فتاة لعوب، وأنا سعيدة لأننى كذلك.. وماذا بحق الجحيم أنت.. كاتب أو مؤلف.. إن سائق لورى يعرف كيف يرضينى.. وأنا خارجة لأبحث عن واحد..".

وهكذا، نرى أن المؤلف قدم لنا - دون قصد منه - صورة فاضحة ومؤلمة لمدى ما وصل إليه المجتمع الأمريكى من الانحلال والفساد.. وأرسكين كالدويل، قادر دائمًا على أن يعطينا الإحساس بصدق رؤيته، وندقة تصويره للواقع، فى أسلوب فنى بسيط، لا تكلف فيه.

تسلم ريك برفية من تس، وسافر فورًا ليلتقى بها فى "كولورادو سبرنجر". والتقى بها فى وجود صديقة لها تدعى "لافرن"، وحاول أن يحدثها عن رغبته فى الزواج منها، فصارحته فى برود بأنها لا تحبه.. ولكنها أمام توسلاته، وعدته بأن تلتقى به فى يوم الأحد.

وفى نفس الليلة، وبينما هو فى غرفته بالفندق، فوجئ بلافون تفتح الباب وتدخل عليه.. لقد أرسلتها تس لتحل محلها وترضيه عاطفيًا، أملا فى أن ينساها، ويكف عن ملاحقتها.. وتخبره لافرن بأن تس إنسانة غريبة وتعيسة فى حياتها، ولها ابنة من زوج سابق.. وفى

النهاية بغض ريك عينيه، ويتخيل أن لافرن هي تس، يمارس معها الحب.. ويتكرر حضور لافرن إليه في عرفته دون علم تس، وترجوه ألا يخبرها بذلك، لأنهما صديقان.. ولكن في حالة كهذه، فإن كل فتاة تعمل لحسابها الخاص.. والصداقة بين الفتيات لا تهم، إذا كان الأمر يتعلق برجل.. إنه قانون صعب وسريع.

ولعل هذه هي الفتاة التي كان يجب أن يحبها ريك، لأنها الوحيدة التي أحبته بصدق وإنسانية - بغض النظر عن الجنس، فهو شيء سائد وعادى في أمريكا - وهي قد فهمته وأحست به ككاتب، إذ ذهبت إلى المكتبة، وقرأت جميع مؤلفاته، وكل ما كتب عنه، وأصبحت تعرف قصة حياته منذ ميلاده.. وتتوسل إليه أن يقبلها كزوجة أو عشيقة تسعده وتهيئ له كل أسباب الراحة ليكتب ويكتب.. ويخجل من نفسه أمام حبها العميق، ولكنه يعجب بها فقط، ولا يستطيع أن يحبها.. إنه يحب تس.. الفتاة صعبة المنال، التي لا تحبه.

ويحدث لقاء أخير، بين ريك وتس، فتصارحه بأن الإنسان الوحيد الذي أحبته هو زوجها الذي طلقها تحت ضغط من أمه.. إنها لا تستطيع أن تحب سواه، وإذا عاد إليها فسوف تتزوجه من جديد. وفيما عدا ذلك فهي تعيش لابنتها، ومرضاها هو سبب سفرها الأخير، وتعتذر إليه قائلة إنها بكل تأكيد لا تستطيع أن تحبه، لأنها فقدت قلبها كما يفقد الإنسان نراعه أو ساقه في حادث.. ولذلك فهي تعمل لتحصل على المال بدلا من الحب، رغم علمها بأن المال لا يمكن أن يغني عن الحب.. ثم ترجوه أن ينساها تماما، ويغادر المدينة نهائيا.

ويعلم الناشر هارفي بما حدث لريك، فيحضر إليه هو وزوجته، ويلتقيان به في وجود وكيل أعماله جاك، ويعمل الثلاثة على التخفيف عنه، قائلين له.. إن الحب في واقع الحياة، يختلف عن الحب الذي ينتب عنه في رواياته، وإن المرأة المثالية التي يبحث عنها لا توجد إلا في خياله، والفرق شاسع بين الخيال.. والحقيقة. ويقنع هو بأنه

يستطيع دائماً أن يجعل أبطال رواياته يقولون ويفعلون ما يريد له، ولكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك مع الناس في واقع الحياة.. وفي النهاية يدفعون به ليبدأ كتابة روايته.

وثمة كلمة سريعة، هي أن سولين، ونانسي، ولافرن، هن في الواقع ثلاثة قوالب مختلفة لمضمون نسائي واحد.. المرأة الباحثة عن الجنس ولو بدون حب.. أما تس فهي نموذج رائع للمرأة المخلصة الوفية، ذات المثل والمبادئ.

والرواية في مجموعها، قد نجحت فيما قدمته لنا من تحليل ممتع وصادق، للمشاعر والعلاقات الإنسانية.

الرمز والغموض في القصة القصيرة^(*)

نحن نعتقد أن العلاقة بين شكل للعمل الأدبي ومضمونه هي بطبيعتها علاقة عضوية متلاحمة، لا تقبل الاقتعال ولا تحتمل الانفصال.

ونعتقد أيضاً أن قانون العمل الأدبي ينبثق تلقائياً من داخله حسب متطلبات العمل نفسه، قصة قصيرة كانت أو رواية، لذلك فإنه ليس من الطبيعي ولا من المفيد أن يقحم الأديب الرمز على عمله أو أن يضفى عليه الغموض دون مبررات فنية أو ضرورات ملحة تستوجب ذلك، وهو يدرك أنه لو فعل لأضر بعمله ضرراً بالغاً يشوه العمل ويسيء إليه ولا يرتقى به.

والكاتب المتمرس يعرف بخبرته الطويلة كيف يعبر عن تجربته الأدبية بالكيفية المثلى، وكيف يضعها في الإطار المناسب لها، وهو يهتدى إلى ذلك أساساً بموهبته الإبداعية المتأصلة وحاسته الفنية المرهفة، لنكتشف نحن في النهاية، عند قراءتنا للعمل، أن كاتبه المبدع قد أخذ في اعتباره جميع المعايير الأخرى للجودة، دون أن يتعمد ذلك، فقمم لنا عملاً أدبياً متكاملًا نستمتع به ونستفيد منه.

وللكاتب أن يلجأ في عمله إلى الرمز دون افتعال، حين يرى أنه أنسب النقوالب الفنية للتعبير عن تجربته الأدبية، أو حين تمنعه الظروف المحيطة من التصريح بما يود أن يقول، خشية أن يقع في محذور ما أو يتعرض لمساءلة قد تدنيه، بينما هو يستطيع أن يلتف حول المحظورات ويقفز فوق المساءلات بواسطة قدراته الفنية

* - نشرت في مجلة "أخبار الكتاب" في يناير ٢٠٠١.

ومهاراته الخلاقة، التي تمكنه من استخدام الرمز المعبر دون المساس بجوهر رسالته الإنسانية التي يسعى إلى إبلاغها لقراءه من خلال عمله الأدبي، وإن غلفه بشيء من الغموض.

والرمز المعبر، المتقن والموفق، من شأنه أن يكسب العمل الأدبي أبعاداً أعمق وأفاقاً أرحب وجماليات أشمل، ويجب ألا يكون الرمز مستغلقاً إلى الحد الذي يعجز عنده إدراك المتلقى عن فك أسرار العمل، ويفضل أن يتضمن النص بعض المفاتيح المعينة التي تساعد على إزالة الغموض الناشئ عن استخدام الرمز، وتجعل النص مفهوماً للقارئ.

وأحياناً يلجأ الكاتب إلى الغموض المقصود لذاته، ربما بقصد الإبهام وبيان المقدرة والسعى وراء تيار الحداثة، وقد يفسر المتلقى ذلك على أنه ناتج طبيعي للتقدم العلمي والتطور الفكري، وغيرهما من الأسباب المعاصرة التي أدت إلى تعقد الحياة وتشابك مناحيها، بحيث يمكن القول بأن ما كان مألوفاً بالأمس لم يعد مألوفاً اليوم، وبالتالي فإن الكتابات السردية الصريحة والتقليدية المسطحة توشك أن تفتقد - إن لم تكن قد فقدت فعلاً - صلاحيتها لعصرنا هذا، عصر الفضاء والتكنولوجيا والعولمة.

ولقد أتى علينا حين من الدهر، يمكن تحديده بستينيات القرن العشرين، كادت فيه ظاهرة الرمز والغموض بشقيها أن تنتشر انتشاراً يوحى بأنها قد أصبحت سمة من السمات الأساسية للأدب الحديث، بينما كان لتلك الظاهرة أسبابها السياسية، ثم أدى التغير السريع للظروف الحياتية والاجتماعية إلى انحسار تلك الظاهرة، بحيث لم نعد نلتقى بها إلا في بعض الأعمال القليلة التي أحسب أن كتابها قد استخدموا فيها الرمز والغموض لأسباب أدبية وفنية بحتة، مستهدفين التجريب والتجديد والارتقاء بعملهم.

ومن المعلوم أن الرمز المغلق أو الغموض المبهم، أى منهما أو كلاهما معاً، كفيلان بطمنس العمل الأدبى شكلاً ومضموناً، والحيلولة دون وصول مفهومه للقارئ، وهذا ما لا يرضاه أى أديب لعمله.

أما الرمز المقنن والغموض المخفف فإنهما يعطيان العمل الأدبى مذاقاً مبهراً ومستملحاً، يمتع المتلقى ويستثير خياله ونكاهه، ويرتفع به إلى مستويات أعلى من الشعور والإدراك، وهى أمور جديرة باهتمام الكاتب المبدع.

بين الفصحى والعامية^(*)

لغة الحوار فى القصة القصيرة والرواية، لا تزال تثير الكثير من النقاش والجدل بين الأدباء والنقاد. والمتحاورون فى تلك القضية اللغوية والأدبية الهامة، ينقسمون إلى فريقين:

الفريق الأول يرى أن اللغة العربية الفصحى هى اللغة الأم، الأصلية والأساسية، التى يجب استخدامها فى الحوار كما فى السرد، دون سواها.

أما الفريق الثانى، فيرى أن لغة الحوار فى العمل الأدبى، يجب أن تكون هى اللغة العامية الدارجة، وحثهم فى ذلك أن العامية هى فعلا لغة الناس اليومية، فى البيت والشارع وجميع الأماكن، وجريانها على لسان الشخصيات القصصية والروائية، يعبر عن الواقع الحياتى المعاش، ويكسب العمل الأدبى قدرًا لا يستهان به من الصدق، إن لم يكن كل الصدق، ومن المعلوم أن الصدق مطلب ضرورى فى القصة القصيرة والرواية على حدّ سواء، ليس فى الحوار والسرد فقط، وإنما فى مضمون العمل الأدبى أيضًا، ما لم يكن من أدب العبث واللامعقول، فالصدق الفنى من أهم معايير الجودة فى العمل الأدبى، وهو فى الوقت نفسه خير ضمان لوصول مفهوم العمل إلى وجدان المتلقى وعقله.

وبطبيعة الحال، فإن الإنسان العادى البسيط، الذى يمثل قطاعًا كبيرًا من المجتمع، لا يفهم غير لغة الحوار العامية، التى يتحدث بها

* - نشرت فى مجلة "أخبار الكتاب" فى فبراير ٢٠٠٠.

ويتعامل معها طوال حياته، هكذا يقولون، وينزلون بلغتهم إلى مستوى رجل الشارع، بدلا من أن يرفعه إليهم.

ولكن أنصار العامية أولئك يستسهلونها، ويتناسون أنها ليست موحدة في جميع أقاليم الجمهورية، وإنما اللهجة العامية نفسها تأخذ في التباين والاختلاف من إقليم إلى آخر، حتى تصل إلى حد الاستغلاق وعدم الفهم، بمعنى أن العمل الأدبي الذي يستخدم كاتبه اللغة العامية في الحوار، لن يكون مفهوماً بنفس الدرجة من الوضوح، بالنسبة للقارئ المصري في جميع أنحاء الجمهورية.

وما دام الحال كذلك، فهل يقدر لمثل هذا العمل أن يعبر الحدود، ويكون مفهوماً لأبناء الأقطار العربية الشقيقة مثلاً؟! لا أظن، بل ولا أظن أنه يمكن أن يحظى بالترجمة إلى لغة أخرى في يوم من الأيام، وإنما سيظل أسير محليته وإقليميته، وقد لا يعيش طويلاً.

وليس صحيحاً إذن، أن اعتماد اللهجة العامية لغة للحوار، يكون في صالح العمل الأدبي!

وفضلاً عن كل ذلك، فنحن ندرك أهمية اللغة العربية وقيمتها، بالنسبة للعمل الأدبي، في الحوار والسرد وغيرهما، فهي اللغة الأم المفهومة لقراء العربية في كل مكان وزمان، وهي اللغة الرسمية القابلة للترجمة إلى جميع اللغات الحية، وهي اللغة للقادرة على الانطلاق بالعمل الأدبي من نطاق المحلية المحدود، إلى آفاق العالمية للامحدودة.

ولا أكون مبالغاً إذا قلت إن اللغة العربية الفصحى، هي التي تكتب للعمل الأدبي البقاء والخلود عبر الأجيال والقرون، إذا كان جديراً بذلك طبعاً، بعكس اللهجة العامية، التي قد تتغير وتتقرض بمرور الزمن، وتتابع الأجيال، فيندثر معها كل عمل أدبي اعتمد عليها لغة للحوار فيه!

وقد يكون الحل الأمثل لقضية لغة الحوار في العمل الأدبي، هو ما توصل إليه نخبة من الكتاب المتميزين، أمثال نجيب محفوظ وثروت

أباطة، وتوفيق الحكيم ويوسف إدريس، حيث أدركوا في وقت مبكر أهمية لغة الحوار في العمل الأدبي، فاصطنعوا للحوار في أعمالهم لغة وسطى، يمكن أن نسميها العربية الميسرة، أو الفصحى المبسطة، التي تجمع بين سلامة اللغة، وسهولة العبارة، ويفهمها قارئ العربية مهما تكن درجة ثقافته، وأياً كان موطنه.

وهذا يؤكد مدى ثراء لغتنا العربية الفصحى، وقدرتها الدائمة والمتجددة على التعبير، وصلاحيتها غير المحدودة للتخاطب مع جميع القراء، في جميع الأمكنة والأزمنة، وكلها أمور تدعونا للتمسك بلغتنا الفصحى، لغتنا العربية الجميلة.

وغنى عن التوضيح أن كل ما تقدم لا يزيد عن كونه رأياً شخصياً، ليس من الضروري أن يلتزم به قاص أو روائي دون إرادة منه. فمن المسلم به أن الكاتب أو الأديب له مطلق الحق والحرية في أن يكتب ويبدع على النحو الذي يراه ويرتضيه لفنه.

الفهرس

- انتسامة رجب البنا ٥
- انفن والأخلاق فى القصة القصيرة عند فتحى الإيبارى ١٢
- الحمامسى والحريرى وكأس القبانى ١٨
- غرباء والصدق الفنى عند محمد حافظ رجب ٢٢
- الدكتور جمال حمدان.. واثنيود ٢٧
- رستم كيلانى وحياة الحياة ٣١
- عبد العزيز إسماعيل وذئب القرية ٣٥
- شيخ القصة العربية محمود تيمور و.. بنت اليوم ٣٩
- روائى النلتا محمد عبد الحليم عبد الله.. و.. قصة لم تتم ٤٩
- آمال وأقدار ثروت أباطة ٥٦
- لقاء مع: ثروت أباطة ٦٣
- وداعاً.. أنيينا الكبير ثروت أباطة ٧١
- وداعاً.. أمين يوسف غراب ٧٦
- محمد صدقى.. و.. شرخ فى جدار الخوف ٨٢
- مصطفى عبد الوهاب.. و.. دبوس فى الرأس ٨٦
- محمد المويلحى وحديث عيسى بن هشام ٩١
- عبد الرحمن شلش.. وداعاً أعز الأصدقاء! ٩٥
- لقاء مع الشاعر الكويتى عبد الله زكريا الأنصارى ١٠١
- عبد الله زكريا الأنصارى.. وداعاً! ١٠٧
- حب ومال أرسكين كالدويل ١١٢
- الرمز والغموض فى القصة القصيرة ١٢١
- بين الفصحى والعامية ١٢٤

المؤلف

محمد صفوت

* صدر له:

- ١- فى مدرسة البنات، قصص قصيرة، ١٩٨١، دار الخليج، الكويت.
- ٢- أشياء لا تموت!، قصص قصيرة، ١٩٩٩، مركز الحضارة العربية.
- ٣- لحظة الانتقام، قصص قصيرة، ٢٠٠٠، دار زويل.
- ٤- وداع لم يتم، قصص قصيرة، ٢٠٠١، اتحاد الكتاب، أقلام مصرية.
- ٥- لقاء غير متوقع، قصص قصيرة، ٢٠٠٢، نادى القصة، للكتاب للفضى.
- ٦- اللصوص، قصص قصيرة، ٢٠٠٣، مركز الحضارة العربية.
- ٧- انطباعات أدبية، رؤى نقدية، ٢٠٠٧، مركز الحضارة العربية.

* تحت النشر:

- ١- حافة اللاوعى، قصص قصيرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- ٢- هموم مراهقة، قصص قصيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٣- العربة الفريدة، قصص قصيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٤- أبو البنات، رواية.
- ٥- اغتيال البراءة، رواية.

Email: muhamed-safwat@yahoo.com